تاريخ عمان والخليج في العصر الإسلامي

(منذ ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة العباسية)

دراسة وثائقية

تأليف

الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

وكلية الآداب جامعة السلطان قابوس سابقاً

Scanned by CamScanner

تاريخ عمان والخليج في العصر الإسلامي

(منذ ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة العباسية)

دراسة وثائقية

تأليف الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

وكلية الآداب — جامعة السلطان قابوس

بعمان سابقا

2011

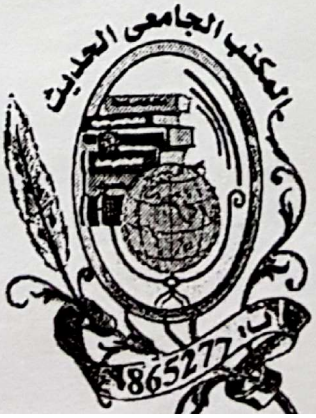

Scanned by CamScanner

مقـــدمة

نتعرض في الباب الأول من هذا الكتاب لدراسة فـترة من أهـم الفـترات في تاريخ عـمـان في العصر الإسلامي، وهي الفترة التي بـدأت بظهـور الإسلام في عمان في عـهد الرسول ﷺ، وحتى سـقوط الإمـامة الإباضية الأولى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م. وكـان الهـدف من هـذه الدراسـة عـرض بالمناقشة والتحليل لعـدد من القضايا والإشـكالات لتاريخ عـمان في تلك الحقبة، وهي في معظمها تتعلق باختلاف الروايات التي وصلت إلينا عن طريق المصادر المتنوعـة حـول زمن وقـوع بعض الأحـداث، وأبطـالـها وأماكن حدوثها.

والجدير بالملاحظة أن اختلاف الروايات وتضاربها لا ينفرد بها تاريخ عمان دون غيره من الأقاليم الإسلامية، ولكنها ظاهرة تكاد تكون عامة في معظم أحداث تاريخنا الإسلامي في تلك الحقبة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ويكفي أن نلقي نظرة على روايات المؤرخين لأحداث الفتح الإسلامي في عصر الخلفاء الراشدين لنلاحظ التضارب الشديد في تحديد الأماكن والسنوات والشخصيات التي تنتسب إليها الأحداث، مما يجعل عملية ترتيب وقائع الفتح وما صاحبها من أحداث مشكلة تحتاج إلى جهد كبير من الباحثين، لتنسيق الوقائع زمنياً والتأكد من نسبتها إلى أبطالها الحقيقيين.

وفي اعتقادنا أن منهج البحث الذي يعتمد على اختيار الباحث لرواية واحدة من بين العديد من الروايات المختلفة، والتي قد يرى أنها تتسق مع الأحداث من وجهة نظره، أو التي يميل إلى الأخذ بها من بين الروايات التي تتناول نفس الحادثة موضوع دراسته، وإهمال الروايات الأخرى دون مناقشتها أو حتى الإشارة إليها، يتنافى مع طبيعة تكون المصادر في التاريخ

Scanned by CamScanner

الإسلامي، والتي يعتمد معظمها على الإسناد وتعدد الروايات تبعاً لتعدد الرواة للحادثة الواحدة. فاختيار الباحث لرواية واحدة، وإهمال باقي الروايات، يعني إغماض العين عن باقي الروايات، والهرب من الدخول في مواجهة ضرورية مع الروايات الأخرى، إما خوفاً من الوقوع في الاضطراب والغموض، أو عدم المقدرة على الاختيار والحسم والخروج برأي محدد ينهي القضية، ويظهر الحقيقة أو يقترب منها.

لذلك كان هدفي من هذه الدراسة أن أطبق منهجاً يعتمد على مواجهة تعدد الروايات للحادثة الواحدة، فقمت بعرض الروايات طبقاً للترتيب الزمني لرواة الحادثة، ثم مناقشة الروايات المتشابهة والمتنافرة، ثم التعليل المنطقي لتأييد رواية دون أخرى، وفي النهاية ترجيح رواية واحدة قد يشترك فيها أكثر من مصدر، واستبعاد باقي الروايات. وأنا لا أنكر هنا عنصر الاجتهاد الشخصي في محاولة الاقتراب من الحقيقة، ورغم ما قد يكون في هذا الاجتهاد من بعض المحظورات، إلا أنه في كل الظروف أفضل بكثير من تجاهل الروايات المتعددة، واللجوء إلى الطريق السهل باختيار رواية واحدة والاعتماد عليها في كتابتنا للتاريخ.

والواقع أن دراسة تاريخ عُمان في العصر الإسلامي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر والمثابرة، فالوثائق التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها قليلة، بل نادرة في بعض الفترات، وفي البعض الآخر تصمت المصادر تماماً عن ذكر شيء عن تاريخ عمان، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين إلى الزعم بأن المؤرخين المسلمين قد أهملوا عن عمد ذكر تاريخ عمان في كتبهم

وموسوعاتهم التاريخية لأسباب مذهبية[1]، وهذا الزعم في اعتقادنا يجانبه الصواب.

فمن البديهيات أن اهتمام المؤرخين القدماء من أصحاب كتب التاريخ العام والموسوعات كان يتجه إلى مركز الأحداث في عواصم الخلافة سواء كانت في المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من العواصم الإسلامية، ثم تتسع دائرة اهتمامهم بعد ذلك لتسجيل ما يجري من أحداث في الولايات الإسلامية المختلفة عندما يكون لذلك علاقة بمركز الأحداث، ويؤكد ذلك ما نلاحظه من أنه في المرات القليلة التي تعرضت فيها عُمان لحملة من حملات الخلافة، لم تغفل المصادر ذكر هذه الحملات وما تبعها من أحداث دون إهمال متعمد أو إعراض مقصود كما يزعم البعض[2].

ولكن بجانب مؤرخي التاريخ العام، برز في نفس الوقت ما يعرف بالتاريخ المحلي في معظم الأقطار الإسلامية حتى تلك التي كانت بها عواصم الخلافة في بعض الأوقات، فقد كثرت المؤلفات المحلية التي تناولت تاريخ بغداد ودمشق والقاهرة، وتاريخ اليمن والموصل والمغرب والأندلس وبخارى .. وغيرها كثير. ولكننا للأسف لا نصادف مثل هذه التصنيفات عن تاريخ عمان في العصر الإسلامي إلا فيما ندر، وغالباً لا يمكن إدراج ما وجد منها بين كتب التاريخ، بل ينضوي تحت باب الفقه واللغة والأنساب وتأتي الإشارات التاريخية عرَضاً دون استيفاء يشفي غليل الباحث.

ويجب هنا ألا نغفل احتمال أن تكون بعض المصادر التاريخية العمانية قد فقدت لسبب أو آخر، وقد أدرك ذلك بعض المؤرخين العمانيين في العصر

(١) انظر: رجب عبد الحليم، العمانيون والتجارة والملاحة، مسقط ١٩٨٩، ص ٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٦.

Scanned by CamScanner

الحديث الذين أشاروا في مؤلفاتهم إلى افتقادهم للمصادر القديمة لتاريخهم المحلي، فيذكر الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي في مقدمة كتابه «عُمان عبر التاريخ» ما يعبر عن هذا بقوله: «فهذا تاريخ عمان .. وهذا ما حصلنا عليه، .. لأنه غالباً لم يدون، وما دُون منه لم ينشر ولم يتبين، ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدنان .. ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان»[1].

أما المؤرخ العماني المشهور نور الدين السالمي (ت ١٩١٣م)، فقد لاحظ الندرة الشديدة في مصادر التاريخ العماني، وعلل ذلك بقوله «لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية .. فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملاً»[2]. وهكذا يعترف السالمي بأن اهتمام علماء عمان قديماً كان منصباً على العلوم الدينية، وشرح تعاليم المذهب الإباضي، وهذا عندهم أهم من تسجيل الأحداث التاريخية. ويؤكد صاحب كتاب كشف الغمة هذا المعنى المذهبي الذي دفعه لتأليف مؤلفه فيقول: «لما رأيت أهل زماننا قد غفلوا عن أهل مذهبهم الشريف، .. جعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار»[3].

وهكذا يتضح أن اهتمام المؤرخين المحليين في عمان كان منصباً على العلوم الدينية وشرح تعاليم المذهب الإباضي، مما أوجد ندرة في المصادر التاريخية التي تتناول تاريخ عمان، ولا شك أن هذه الندرة تدفع الباحث إلى

---

(١) انظر: سالم بن حمود بن شامس السيابي، عمان عبر التاريخ، (طبع و زارة التراث العمانية ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٥.

(٢) انظر: نور الدين السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (طبعة القلعة بمصر، بدون تاريخ)، ص ٤.

(٣) انظر: كتاب تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، المنسوب إلى سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، تحقيق عبد المجيد القيس، القاهرة ١٩٨٠، ص ٩، ١٠.

الاعتماد على الإشارات التي وردت في المراجع المحلية الحديثة والتي غالباً ما تتكرر نصوصها من مرجع إلى آخر، ولكنها تختلف في روايتها أحياناً مع ما أوردته مصادر التاريخ العام لدوافع قومية أو مذهبية، فكان لا مناص للباحث من التمحيص والمقارنة، وتطبيق منهج البحث بدقة حتى يمكن إلقاء الضوء على القضايا الرئيسية في تاريخ عُمان في الفترة موضوع الدراسة بحثاً عن الحقيقة والاقتراب منها قدر الإمكان.

ويتناول الباب الثانى تاريخ آل المهلب في المشرق الإسلامى ونشاطهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي. وقد حاولت من خلاله إلقاء الضوأ على هذه الأسرة العريقة التي كان لها دور مؤثر في حركة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام، كما تصدت لحركات المعارضة وكان لها مواقف مشرفة في الصراع ضد الخوارج الأزارقة الذين روّعوا العالم الإسلامى في المشرق وأثاروا الذعر بين الخاصة والعامة.

وقد تعرضت هذه الأسرة إلى تشهير متعمد من جانب عناصر من الشعوبيين وكُتّاب المثالب – إما بدافع من التعصب القبلي، أو حسداً لما حازوه من تقدير لشجاعتهم وتميزهم –، ونحن في هذا البحث لم نقف أمام هذه الحالة لننفي ما ذهب إليه بعض هؤلاء من الطعن في نسبهم العربي، والإساءة إليهم، فإن نسبهم وانتماءهم إلى قبائل الأزد العُمانية قضية حسمتها معظم المصادر التاريخية، ولا مجال للشك فيها. فنجد الحجاج بى يوسف الثقفي في إحدى رسائله للمهلب يقول إنه قد اختاره لحرب الأزارقة وفضّله على رجال من مضر، .. وهو رجل من أهل عُمان .. من الأزد ..، وما كان الحجاج أو غيره من مؤرخى المسلمين يجهلون نسب المهلّب، وما قيل غير ذلك فهو ضرب من التعدي على الحقائق التاريخية.

Scanned by CamScanner

وفى الفصل الأول حاولت إبراز دور أبي صُفرة والد المهلب خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة، فتاريخ أبي صُفرة طغت عليه شهرة ابنه المهلب، ولم يحظ باهتمام المؤرخين، فهو من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام بين قومه أزد عمان، كما يأتي ذكره في المصادر من بين القوّاد الذين ساهموا في حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق في عهد الخليفتين عمر وعثمان وكان أبو صُفرة يقود فرقة من قومه الأزد وكان يصحبه من أبنائه: النجف والمغيرة وحبيب.

وجاء ذكر المهلب لأول مرة في حياة أبيه في حملة المسلمين على سجستان في أواخر خلافة عثمان (٣٥هـ/٦٥٥م)، وبوفاة أبي صفرة حوالي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م تنتقل زعامة الأسرة إلى ابنه المهلب، لتردد المصادر نسب الأسرة كلها إليه فيطلق عليهم أحياناً «المهالبة» وأحياناً «آل المهلب».

وخلال الفترة السفيانية من تاريخ الدولة الأموية، حقق المهلب شهرة واسعة كأحد الأبطال في مجال الحرب والجهاد في الجبهة المشرقية مما رفع من شأن المهالبة وجعل ولاة خراسان يحرصون على أن يصحبهم المهلب ورجاله إلى خُراسان ليكونوا سنداً لهم في معاركهم هناك. وفي أواخر هذه الفترة تظهر براعة المهلب السياسية وحسن تقديره للأمور عندما ا شتعلت الصراعات بين القبائل في خراسان في أعقاب وفاة يزيد بن معاوية، وكان والي خراسان (سلم بن زياد) قد انسحب منها تاركاً إدارتها للمهلب، وقد أغضب هذا التصرف عناصر من المضرية، وتنازعت القبائل للسيطرة على خراسان وتمزقت أقاليمها فيما بينهم، وقد آثر المهلب في هذا الجو المضطرب ان لا يكون طرفاً في هذا الصراع، فانسحب برجاله وآل بيته وأقام بالبصرة يترقب الأحداث.

وتناولت فى الفصل الثاني علاقة المهالبة بثورة عبد الله بن الزبير، وهي في رأينا علاقة طبيعية نتيجة لوقوع العراق وأقاليم المشرق وأهمها خراسان تحت نفوذ ابن الزبير، ولما كان المهلب أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة في هذه المنطقة فقد سعى ابن الزبير حثيثاً ليضم المهلب إلى صفوفه واجتمع به طويلاً وأغراه بولاية خراسان في الوقت الذي كان فيه الأمويون مشغولين بقضية الوراثة ومن يخلف معاوية الثاني، فاستجاب المهلب، وفي طريقه لخراسان مر بالبصرة التي بها معظم قبيلته ورجاله، وكانت البصرة تتعرض لخطر داهم من جانب الأزارقة، فضحى المهلب بخراسان وتصدى لحرب الأزارقة منذ هذا التاريخ (٦٥هـ/٦٨٤م) استجابة لرجاء أهل البصرة وبتكليف من عبد الله بن الزبير وأوضحت كيف استمر المهالبة في صراعهم ضد الأزارقة حتى قُتل مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ/٦٩٠م، ويبدو أن المهلب كان يدرك أن مكانه هو الجهاد والدفاع عن الإسلام ضد الأخطار الداخلية والخارجية – سواء أكان منتمياً إلى ابن الزبير أم إلى الأمويين – لذلك أعلن المهلب البيعة لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الذي شكره وأثنى عليه وأقره على ما تحت يده من ولايات وأسند إليه مهمة مواصلة الحرب ضد الأزارقة.

أما الفصل الثالث ، فقد تناولت فيه علاقة المهالبة بالدولة الأموية منذ سنة ٧١هـ/٦٩٠م وحتى القضاء على الأزارقة سنة ٧٧هـ/٦٩٦م ونلاحظ في هذه المرحلة أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر استبد بها التعصب القبلي وساءها أن يسيطر الأزد على مجريات الحرب ضد الأزارقة، ويحوزوا شرف النصر تلو النصر في الوقت الذي فشل فيه غيرهم من المضرية في أن يحلوا محلهم، وكانت الخلافة الأموية تدرك أنه لا يستطيع التصدي للأزارقة إلا المهالبة. ففى الفترات القليلة التي اضطر فيها المهلب

Scanned by CamScanner

إلى ترك موقعه في مواجهة الخوارج الأزارقة، كانت الهزائم تتوالى على جيوش الدولة الأموية. ورغم ذلك فقد تعرض المهلب للعديد من المضايقات وخاصة من جانب والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يتهمه بإطالة الحرب طمعاً في الخراج الذي يجبيه من الأراضي الخاضعة له.

ورغم الاستفزاز ظل المهلب يداري الحجاج، حتى تمكن في النهاية من تحقيق النصر على الأزارقة واعترف الحجاج على الملأ بفضل آل المهلب وإنقاذهم المشرق الإسلامي من خطر الأزارقة. وكانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب لجهوده في القضاء على الأزارقة.

أما الفصل الرابع، فقد تناولت فيه فترة ولاية المهلب على خراسان حتى وفاته سنة ٨٢هـ/٧٠١م وأبرزت عدة نقاط مهمة منها أن الحجاج كان يضمر الحقد على المهلب وأغرمه مبلغاً كبيراً من المال، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل المهلب يجاهد في سبيل نشر الإسلام «فخيل له بسمرقند وأخرى ببخارى وأخرى بطخارستان» كما نجح المهلب في حفظ التوازن في علاقته بالحجاج وبالخليفة الأموي في دمشق فلم يكن في طبعه الغدر ونكث العهود ويظهر هذا في موقفه من ثورة ابن الأشعث سنة (٨١هـ/٧٠٠م)، كما يظهر بوضوح في وصيته لأبنائه قبيل وفاته.

أما الفصل الخامس، فقد تناولت فيه تاريخ المهالبة منذ تولى قيادة الأسرة يزيد بن المهلب وحتى وفاة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ/٧١٩م) وأوضحت أن المهالبة في هذه الفترة قد نالوا حظاً وافراً من القوة والنفوذ وخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى أن بعض الرواة ذكروا أن يزيد ابن المهلب كان يجلس مكان الخليفة الأموي في غيابه، ولكن هذا الوضع أثار الأحقاد والغيرة، وكانت أخطر هذه الأحقاد ما جاء من جانب أمراء البيت

الأموى فقد شعر بعضهم بالضآلة أمام نفوذ يزيد وسطوته، مما عجل بنكبة المهالبة.

أما الفصل السادس، فقد أوضحت فيه ثورة آل المهلب ضد الدولة الأموية وحللت الأسباب التي أثارت البيت الأموي ضد يزيد، وظروف الحرب الضارية التي خاضها يزيد ضد الأمويين، ورغم كثرة أنصاره إلا أن يزيد بن المهلب كان يرفع السيف هذه المرة في وجه الدولة صاحبة الحق الشرعي في الحكم مما أدى إلى هزيمته في موقعة العقر (١٠٢هـ/٧٢٠م) وقد أبرزت عوامل هزيمة يزيد في هذه الموقعة. ومطاردة الأمويين لآل المهلب في كل مكان للقضاء على نفوذهم.

وقد أوضحت فى **نهاية الباب** أنه رغم مطاردة الأمويين لآل المهلب فإن من بقي منهم ظل على عدائه للدولة الأموية طلباً للثأر، فقد ثار سليمان بن حبيب بن المهلب سنة ١٢٩هـ/٧٤٩م ضد الأمويين في الأهواز كما خرج سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على الأمويين في البصرة معقل المهالبة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م تأييداً للدعوة العباسية. وقد كافأ العباسيون سفيان بأن أسندوا إليه ولاية البصرة وردوا إليه أملاك أسرته[1] التى صادرتها الدولة الأموية.

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٤٥، البلاذري، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ – ١٥٧.

Scanned by CamScanner

الباب الأول
تاريخ عُمان في صدر الإسلام

- الفصل الأول: عُمان في عصر النبوة
- الفصل الثاني: عُمان والخلافة الرّاشدة
- الفصل الثالث: عُمان والدولة الأموية
- الفصل الرابع: عُمان بين عهدين - سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

Scanned by CamScanner

تمهيد

تتمتع عُمان بموقع متميز في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيره العربية، ومن كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين يمكن القول أن عُمان من الدول القليلة في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج التي تكاد تتشابه إلى حد بعيد من حيث المساحة والحدود قديماً وحديثاً، بل إنها كانت في العصور الإسلامية الأولى أكثر اتساعاً مما هي عليه الآن، فيحدها من الشمال سواحل البحرين، ومن الشمال الغربي بلاد اليمامة[١] أما الجنوب فيطل على بحر عرف باسمها في العصور الوسطى إذ يذكر صاحب الروض المعطار «كانت مياه المحيط المقابلة لعُمان يطلق عليها البحر العُماني، كما يطلق على البحار المواجخة للهند بحر الهند»[٢]، أما جنوبها الغربي فيتصل بحضرموت[٣] وكان إقليم الشحر من توابع عُمان أو جزءاً من أملاكها.

ويعترف الجغرافيون المسلمون باستقلالية عُمان عند تعريفهم بها فهي مستقلة بذاتها عامرة بخيراتها، وهي إقليم سلطاني مستقل[٤]، فعُمان من البلاد القليلة في شبه الجزيرة العربية التي عرفت نظام الحكم الوراثي، وكانت قبيل الإسلام يتوارثها آل الجلندي، ويفهم هذا المعنى مما ذكره ابن حزم في قوله «كانت العرب ملوكا في بلادهم يتوارثون الملك كابرا عن كابر كملوك اليمن، .. وجيفر وعباد ابني الجلندي ملكي عمان»[٥] وكانت عاصمتها في

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٧٩، ج ١، ص ٣٤٥، الحميري، الروض المعطار، تحقيق إ حسان عباس، بيروت ١٩٨٤، ص ٦١٩.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت ١٩٥٥، ج ٤، ص ١٥١.

(٤) الاصطخري، مسالك الممالك، ليدن ١٩١٧، ص ٢٥-٢٦، الحميري، المصدر السابق، ص٤١٣.

(٥) انظر: ابن جزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جدة، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٢٢٤.

Scanned by CamScanner

القديم مدينة صحار التي أطنب الجغرافيون في وصف مبانيها ومساجدها، وما كانت عليه من مظاهر الثراء نتيجة لنشاطها التجاري المزدهر مع معظم موانئ الخليج والهند وجنوب شرق آسيا[1] هذا الموقع المتميز جعل عُمان في ملتقى التيارات الحضارية ذات الجذور العريقة والتي تأثرت بها وأثرت فيها على مر العصور ومما زاد من قوة هذا التأثير طبيعة عُمان الداخلية والنشاط البحري والتجاري لسكانها مما جعلها ملتقى لحركة بشرية واسعة بالإضافة إلى الثقافات والديانات المتعددة التي عرفتها عُمان قبل الإسلام.

وعندما ظهر الإسلام في الحجاز، عرف طريقه إلى عُمان بمبادرة من أهلها الذين سعوا إلى اعتناقه قبل أن تصلهم دعوة الرسول ﷺ بالدخول فيه، وهذا الأمر أعطى أهل عُمان مكانة مميزة طوال عصر الخلفاء الراشدين. شعر العُمانيون خلالها بالاستقلالية في إدارة شئونهم، واستمرت هذه الحال حتى أسندت ولاية العراق ثم الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية للحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ/٦٩٤-٧١٣م) فبدأ الصدام لأول مرة بين السلطة الحاكمة في الدولة الأموية وبين العُمانيين، ولا يمكن الادعاء بأن هجمات الحجاج على عُمان ورغبته في إخضاعها لنفوذه كانت لأسباب مذهبية كما ذكرت بعض المراجع الحديثة، لأن الحركة الإباضية لم تكن قد تبلورت في عُمان بعد، وكان قادة الدعوة في البصرة وعلى رأسهم إمامها جابر بن زيد ينشرون مذهبهم في سرية تامة، وفي رأينا أن الحجاج أراد أن يضم هذا الإقليم المستقل الذي يتوارثه آل الجلندي ويخضعه لسيطرة الخلافة الأموية من منطلق استعراض القوة وتأكيد النفوذ

(١) انظر على سبيل المثال: الاصطخري، المصدر السابق، ص ٢٥، ياقوت، المصدر السابق، ص ٣٩٣، ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت ١٩٧٠، ص١١٨.

القبلي، في الوقت الذي حاول فيه حكام عُمان الحفاظ على استقلالهم، ومن المحتمل أن العصبية القبلية بين النزارية واليمنية قد لعبت دورها في تحركات الحجاج بن يوسف الثقفي وتوجيهه الحملات المتتالية لإخضاع أهل عُمان وهم في معظمهم من الأزد اليمنية.

ومع نهاية العصر الأموي كانت الحركة الإباضية قد نضجت في جنوب شبه الجزيرة العربية: في عُمان وحضرموت واليمن وكانت الفترة التي قضاها فقيه الإباضية الإمام جابر بن زيد في عُمان منفياً من الحجاج بن يوسف الثقفي كافية ليضع جابر بذور الدعوة في موطنه الأصلي وبين قبيلته الأزد لتنمو بعد ذلك هذه البذور وتؤتي ثمارها في الأرض العُمانية، وبدأت تظهر آثار هذه الدعوة إلى حيز الوجود في مشاركة أهل عُمان المؤثرة والفعالة في ثورة عبد الله بن يحيى طالب الحق في حضرموت واليمن والتي مدت نفوذها إلى الحجاز (١٢٩-١٣١هـ/٧٤٦-٧٤٨م) ثم قامت بعد هذه الحركة بوقت قليل إمامة الظهور الإباضية الأولى في عُمان، تأكيداً على تغلغل المذهب الإباضي بين أعداد كبيرة من العُمانيين وسيصبح تاريخ عُمان منذ ذلك الوقت مرتبطاً بتاريخ الحركة الإباضية.

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

عُمان في عصر النبوة

Scanned by CamScanner

الفصل الأول
عُمان في عصر النبوة

تشير المصادر ا لتاريخية وكتب الأنساب أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عُمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية، وإن هذا كان عن طريق مبادرات فردية جاءت من أهل عُمان أنفسهم – على غير المألوف – فيُروى أن أول من أسلم من العُمانيين رجل يدعى «مازن بن غضوبة»[١] من سكان مدينة عمانية تسمى سمائل أو سمايل[٢].

ويعرفنا أحد النسابين بمازن هذا في قوله «وله خبر عجيب يخرج في أعلام النبوءة من أخبار الكهان»[٣]. وحسب ما نجده من وصف للكهانة والكهان[٤] عند العرب قبل الإسلام، فإن الرواية السابقة توحي بأن مازن بن غضوبة كان من مشاهير بلدته سمائل ومن علمائها وكهانها المعدودين لأن الكاهن غالباً ما يكون عفيف النفس يميل إلى العزلة وكثرة التأمل والتفكير الثاقب «وربما قويت النفس فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها»[٥]،

---

(١) هو مازن بن غضوبة أو الغضوب، بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر ويرجع نسبه إلى الغوث بن طيء (انظر: أبو بكر محمد الهمداني، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب)، (القاهرة ١٩٧٣)، ص ٥٥، نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، ص ٢٦.

(٢) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥، سرحان بن سعيد الأزكوي، المرجع السابق، ص ٣٥. ويذكر صاحب الروض المعطار أن سمائل قرية بأرض عمان منها مازن بن غضوبة الطائي (الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦).

(٣) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٤) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥) انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨، ج ٢، ص ١٧٥. وعن الكهانة والكهان، انظر أيضاً، النويري، نهاية الأرب (طبعة الهيئة العامة للكتاب)، ج ٣، ص ١٢٨ وما بعدها، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (طبع القاهرة بدون تاريخ)، ج ٣، ص ٢٦٩ وما بعدها.

Scanned by CamScanner

وكان مازن يقوم على خدمة صنم مشهور في بلدته سمائل يسمى «ناجر» كانت تعظمه بنو خطامة وبنو ناجية من طئ[1].

وتختلط الحقيقة بالخيال فيما رواه المؤرخون عن الطريقة التي أسلم بها مازن بن غضوبة، وعن كيفية معرفته بظهور الإسلام، فيروي صاحب الروض المعطار وينقل عنه المؤرخون العمانيون، أن مازن كان في خدمة صنم في الجاهلية – كما ذكرنا – فقدم له يوماً ذبيحة قرباناً فسمع صوتاً خارجاً من الصنم يقول:

يا مازن اسمع تُسر * ظهر خير وبطن شر
بُعِثَ نَبيٌ من مُضَر بدين الله الأكبر
فَدَعْ نحيتاً من حجر تسلم من حر صقر

ففزع مازن من ذلك، وبعد عدة أيام ذبح للصنم ذبيحة أخرى، فخرج من الصنم صوتاً آخر يبشره بالنبي المرسل، ويأمره بأن يتبعه لينجو بنفسه من نار جهنم وتستمر الرواية فتذكر أنه في الوقت الذي كان فيه مازن يعاني الحيرة مما سمعه من الصنم، قدم رجل من الحجاز والتقى بمازن وأخبره بدعوة الرسول ﷺ وظهور الإسلام هناك[2].

وإذا نحينا جانباً العنصر القصصي في الرواية السابقة وما قيل عن صنم مازن الذي يقرض الشعر ويتحدث إلى سادنه، فإنه يمكن القول بأن مازن قد التقى برجل قادم من الحجاز، وتحدث إليه فأخبره عن الحدث المهم هناك وهو ظهور الرسول ﷺ وانتشار الدعوة الإسلامية، ولما

(١) انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦، السالمي، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٢) انظر التفاصيل: الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦–٣٢٧، السالمي، المرجع السابق، ص٣٦ – ٣٧.

كان مازن على قدر من العلم ويمارس الكهانة والسدانة، فقد أدرك من حديث الحجازي أهمية ما يدعو إليه الرسول ﷺ فحزم أمره على الرحيل ليلتقي بصاحب الرسالة ﷺ، ويبدو أن مازن قد سمع من الرجل ما يشير إلى أن الإسلام يدعو إلى التوحيد وينبذ عبادة الأصنام، فبادر بتحطيم الصنم الذي يسدنه، وشد رحاله إلى الحجاز وهناك التقى بالرسول ﷺ، وأعلن إسلامه بين يديه، وسأل الرسول ﷺ أن يدعو له أن يذهب الله عنه ولعه بالطرب وشرب الخمر، فدعا له الرسول ﷺ، فاستجاب الله لدعائه وأقلع عن هذه المحرمات[1].

ومن الغريب أننا لا نجد تاريخاً محدداً لهذه الحادثة التي التقى فيها مازن بالرسول ﷺ، ولكن يتضح من الرواية العمانية أن مازن بعد عودته إلى بلدته، تمكن من أن يجذب أعداداً من أهل عُمان بوجه عام ومن بلدته سمائل على وجه الخصوص إلى الدخول في الإسلام، ولعل ما ساعده على ذلك مكانته الدينية وشهرته بين الناس[2] ويقال أنه بنى بسمائل مسجداً سنة ٦هـ/٦٢٧م مازال يحمل اسمه حتى الآن[3] ولو صح هذا التاريخ فإنه يوحي بالتقريب عن تاريخ زيارة مازن بن غضوبة للرسول ﷺ.

وفي رواية لابن سعد يفهم أن أعداداً كبيرة من أهل عُمان قد أسلموا في هذه الفترة مما دعا الرسول ﷺ إلى إرسال من يعلمهم شئون دينهم ويجمع منهم الصدقات، فتقول الرواية «أسلم أهل عمان فبعث إليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الإسلام ويصدق أموالهم»[4].

(١) انظر: الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥، السالمي، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٢) انظر: ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، (طبع وزارة التراث العماني ١٩٧٨م)، ص ٦.
(٣) انظر التفاصيل: سيف البطاش، إرشاد انسائل إلى معرفة الأوائل (سلطنة عمان ١٩٨٨)، ص ١٣٤ – ١٣٥.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى (طبعة دار الشعب)، ج ١، قسم ٢، ص ٨٠.

Scanned by CamScanner

وإذا كان من الشائع في المصادر أن العلاء بن الحضرمي قد أوفده الرسول ﷺ إلى البحرين مبعوثاً للمنذر بن ساوى حاكمها في ذي القعدة سنة ٨هـ/٦٢٩[١] أي بعد فتح مكة فإن ذكره كمبعوث إلى عُمان يعطي احتمال بأنه قد جاء إليها قبل هذا التاريخ للقيام بالمهمة التى ذكرها ابن سعد، وقبل قدوم عمرو بن العاص حاملاً رسالة الرسول ﷺ إلى عبد وجيفر ملكي عُمان – كما سنوضح في الصفحات التالية.

وأرجح أن مهمة العلاء كانت محددة في إقليم معين أو جزء من عُمان، مما يوحي بذلك أن ابن سعد يستطرد في روايته فيقول: «فخرج وفدهم (يقصد أهل عُمان) إلى رسول الله، فيهم أسد بن يبرح الطاحي[٢] فلقوا رسول الله فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم .. فأرسل معهم «مخرية العبدي»[٣] .. ثم قدم بعدهم «سلمة بن عباد الأزدي» في جماعة من قومه، فاستفسر من الرسول ﷺ عما يعبد وما يدعو إليه، فشرح له الرسول ﷺ فأسلم «سلمة» ومن معه ودعا لهم الرسول أن يجمع كلمتهم على الخير»[٤].

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص ١٩، قارن: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرءوف، القاهرة، ١٩٧٨، ج ٤، ص ١٨٨.

(٢) الطاحي: منسوب إلى طاحية بن سود بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء، بطن من الأزد (الهمداني، المصدر ا لسابق، ص ٨٤).

(٣) يسميه خليفة بن خياط (مخرقة العبدي) ويبدو أنه تحريف، وكان مخرية من بين أعضاء الوفد الذي قدم على الرسول ﷺ في المدينة من قبيلة عبد القيس يعلنون إسلامهم، وكان للعمانيين أيادي بيضاء لدى مخرية، فأراد أن يرد لهما لجميل، فطلب من الرسول ﷺ أن يرسله إلى عمان ليقوم بالمهمة المطلوبة، فاستجاب له الرسول ﷺ (انظر: خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧، ص ١٤٥).

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ص ٨١.

ولم يذكر ابن سعد تاريخاً محدداً لهذه الوفود العُمانية التي التقت بالرسول ﷺ في المدينة، ولكن النويري الذي ينقل عنه يذكر لنا أنها قدمت على الرسول ﷺ بعد فتح مكة[١]، وكما سنلاحظ من عرض الأحداث بعد ذلك أن هذه الوفود العُمانية، ومن بعثه الرسول ﷺ إلى أهل عُمان مثل العلاء بن الخضرمي، ومخرية العبدي كان حدوثها قبل قدوم عمر بن العاص إلى عُمان.

ومما سبق عرضه يمكن التأكيد على أن انتشار الإسلام في عُمان قد جاء عن طريق حركة أهل عُمان ومبادرتهم بالتوجه إلى المدينة واعتناق الدين الإسلامى عن رغبة واقتناع، ولكن الدعوة الرسمية – إن صح هذا التعبير – للعُمانيين للانضواء تحت راية الإسلام، جاءت عندما بعث الرسول ﷺ بكتاب إلى ملكي عُمان جيفر وعبد ا بني الجلندي يدعوهما إلى الإسلام وقد أوردت المصادر خبر هذه الرسالة النبوية، ولكن كثرة الخلاف بين هذه المصادر قد أوقعنا في حيرة حول تاريخ إرسال هذه الرسالة وشخصية حامل الرسالة، والصيغة التي كتبت بها وهل كانت رسالة واحدة أم أكثر، كل هذه الأمور تحتاج إلى إجابة واضحة لأن المصادر قد خلطت بينها وكررت روايات متنوعة دون تحديد أو حسم.

وأقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع رواية ابن هشام (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) في السيرة حيث يقول: أن الرسول ﷺ بعث الرسل إلى الملوك بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية وذكر أسماء الرسل وأسماء من أرسلوا إليهم ومن بين هؤلاء: «.. عمرو بن العاس السهمي إلى جيفر

(١) النويري، المصدر السابق، ج ١٨، ص ١١٤ – ١١٥.

Scanned by CamScanner

وعباد[1] ابني الجلندي الأزديين ملكي عُمان،[2] وبما أن أحداث الحديبية قد وقعت في ذي القعدة سنة ٦هـ/٦٢٧م، فإنه من المحتمل طبقاً لهذه الرواية أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص إلى عُمان في أوائل سنة ٧هـ/٦٢٨م[3] وهنا يثار سؤال مهم، هل كان عمرو بن العاص قد أسلم في هذا التاريخ أو قبله؟.

وطبقاً لرواية ابن هشام بإسناد عن عمرو بن العاص نفسه أنه أعلن إسلامه في المدينة أمام الرسول ﷺ «قبل الفتح»[4] فهل المقصود هنا فتح مكة؟ فإذا كان الأمر كذلك فرواية ابن هشام لا تستقيم، فلا يعقل أن يرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص مبعوثاً إلى عُمان وهو على شركه، أم أن المقصود بالفتح هنا «الحديبية» التي نزلت فيها سورة الفتح ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[5]، وإذا كان الاحتمال الأخير صحيحاً، فإن رواية ابن هشام تتسق زمنياً بين إسلام عمرو بن العاص وإرساله إلى عُمان، ونلاحظ أن المصادر المتأخرة تذكر رواية ابن هشام فيما يختص بإسلام عمرو بن العاص، وتحدد تاريخاً لإسلامه عام خيبر سنة ٧هـ/٦٢٨م[6] أو بين الحديبية وخيبر[7]

(١) يجدر الملاحظة أن بعض المصادر تذكره «عبد» والبعض «عباد».
(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٣) يذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قد بعث الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وذلك بعد عودته من الحديبية، وتحرك ستة نفر منهم في المحرم سنة ٧ هـ، ولم يذكر من بينهم عمرو بن العاص (انظر: الطبقات الكبرى، ج ١، قسم ٢، ص ١٥).
(٤) انظر: ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٣ – ١٧٤ .
(٥) سورة الفتح ٤٨ : ١.
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٩٧١)، ج ٤، ص ٢٤٥ .
(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (القاهرة ١٣٢٨هـ)، ج ٣، ص ٢، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (القاهرة ١٣٢٨هـ)، ج ٢، ص ٥٠٨.

ولكن تعود لتنفي ما سبق لتؤكد أن الأصح هو أن عمرو بن العاص أسلم في صفر سنة ٨هـ/٦٢٩م[1]، وهكذا فإن رواية ابن هشام متضاربة ولا يمكن الأخذ بها.

وتأتي في الترتيب الزمني بعد ذلك رواية ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) فيقول: «.. بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندي..»[2].

أما البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان فيعطينا أكثر من رواية في هذا الموضوع، ولأهميتها في مناقشة قضيتنا سأوردها بنصها:

«كان الأغلبين على عُمان الأزد، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصارى أحد الخزرج وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ – واسمه فيما ذكر الكلبي قيس بن سكن بن زيد بن حرام، وقال بعض البصريين: اسمه عمرو ابن أخطب .. وقال سعيد بن أوس الأنصاري: اسمه ثابت بن زيدا! – وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه، يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن، فلما قدم أبو زيد وعمرو عُمان، وجدا عبداً وجيفرا

(١) انظر: ابن ا لأثير، المصدر السابق، ص ٢٤٥، ابن حجر، المصدر السابق، ص ٢، ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٥٠٨ .
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨ .

Scanned by CamScanner

بصحار[1] على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي ﷺ إليهما، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام، فأجابوا إليه ورغبوا فيه، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعُمان حتى قبض النبي ﷺ ويقال أن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك»[2].

ويستطرد البلاذري قائلا «وقد قال قوم: إن رسول الله ﷺ كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ست، ووجه عمرا في سنة ثمان، بعد إسلامه بقليل، وكان إسلامه .. في صفر سنة ثمان .. وأن رسول الله ﷺ قال لأبي زيد: خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس»[3].

ويفهم من روايات البلاذري أن رسول الله ﷺ قد بعث إلى عُمان مبعوثين، ويذكر أبا زيد الأنصاري ويعرفه بأنه أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ومن الغريب أن البلاذري يزيد من الغموض حول شخصية هذا الصحابي، فيعطي لنا غير اسمه الذي ذكره ثلاثة أسماء أخرى، فأي الأسماء يمكننا الاعتماد عليها في بحثنا عن حقيقته ودوره في عُمان. ولا سيما أنه في روايته الثانية يفصل بين دور أبي زيد هذا وبين عمرو بن العاص، فالأول قد جاء إلى عُمان سنة ٦هـ/٦٢٧م والثاني سنة ٨هـ/٦٢٩م.

(١) كانت صحار عاصمة عُمان في ذلك الوقت ميناء مشهوراً على ساحل الخليج العربي، ويعدها المؤرخون من بين أهم أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام، ويعقد سوقها في أول رجب من كل عام، ولا يحتاج فيها إلى خفارة لأنها كانت أرض مملكة، وكان آل الجلندي يوفرون الأمان للتجار ويأخذون منهم العشر (انظر: تاريخ اليعقوبي، «بيروت بدون تاريخ»، ج ٦، ص ٢٧٠، المسعودي، التنبيه والإشراف «بيروت ١٩٨١»، ص ٢٦٠).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٦، ج ١، ص ٩٢، وينقل عنه هذا النص باختصار قدامه بن جعفر (ت ٣٢٩) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة (طبع العراق ١٩٨١)، ص ٢٧٦.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ص ٩٣.

ومن الأهمية أن نلاحظ انفراد البلاذري بذكر هذه الرواية التفصيلية عن أبي زيد الأنصاري، فيما عدا إشارة عابرة ذكرها خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) في استعراضه لعمال رسول الله ﷺ فقال: «وبعث عمرو ابن العاص إلى عُمان، قبض رسول الله وعمرو عليها، ويقال قد كان بعث أبا زيد الأنصارى إلى عُمان»[1] مما يرجح أن وفود أبي زيد الأنصارى ورحيله عن عُمان كان قبل قدوم عمرو بن ا لعاص.

ويختلف اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) مع الروايات السابقة في تاريخ إرسال عمرو بن العاص إلى عُمان، فيروي في أحداث سنة (٩هـ/٦٣٠م) عن أخبار الرسل الذين أوفدهم الرسول ﷺ فيقول: «.. وعمرو ابن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندي إلى عُمان»[2].

أما الطبري فيذكر ثلاث روايات مختلفة التواريخ عن بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى عُمان: فيروي في أحداث سنة ٦هـ/٦٢٧م بعد ذكر الحديبية عن رسل الرسول ﷺ إلى الملوك، أنه بعث «عمرو ابن العاص إلى جيفر بن جلندي وعباد بن جلندي الأزديين صاحبي عُمان»[3].

والرواية الثانية في أحداث سنة ٨هـ/٦٢٩م حيث قدم عمرو بن العاص على الرسول ﷺ في المدينة فأعلن إسلامه، وفى نفس السنة بعثه الرسول ﷺ «إلى جيفر وعباد ابني جلندي بعُمان، فصدقا النبي، وأقرا بما جاء به، وصدق أموالهما وأخذ الجزية من المجوس»[4].

(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧)، ج ١، ص ٦٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (طبعة دار المعارف بالقاهرة)، ج ٢، ص ٦٤٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩.

Scanned by CamScanner

أما الرواية الثالثة للطبري فتقول «كان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو ابن العاص إلى جيفر منصرفه من حجة الوداع، (أي أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م فمات رسول الله وعمرو بعُمان»[١].

ويتفق المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) في كتابه التنبيه والإشراف مع الطبري في روايته الأخيرة، فيروي في أحداث سنة ١١هـ/٦٣٢م وهي سنة وفاة الرسول ﷺ «فيها كان توجيه رسول الله ﷺ عمر بن العاص إلى حيفر وعباد ابني الجلندي الأزديين صاحبي عُمان يدعوهما إلى الإسلام فأسلما»[٢].

هذه أهم وأقدم الروايات التاريخية التي تعرضت لهذه المعلومة ولا يخرج معظم المؤرخين الذين جاءوا بعد ذلك عما سبق عرضه، ويهمنا من هؤلاء المؤرخين رواية العوتبي الصحاري لأنه أقدم من كتب في هذا الموضوع من أهل عُمان – في علمنا – (توفي في القرن الخامس الهجري) الذي يذكر في روايته اسم حامل رسالة الرسول ﷺ إلى أهل عُمان عمرو بن العاص فقط، ولا يذكر أبا زيد الأنصاري، وفي نفس الوقت لا يحدد تاريخاً لقدوم عمرو إلى عُمان[٣]، ولكن روايته تهمنا في مناقشة ما يتعلق بالرسالة النبوية لأهل عُمان في الصفحات التالية.

وبعد هذا العرض يمكن مناقشة القضية على النحو التالي: فيما يتعلق بتاريخ بعث الرسول ﷺ لعمرو بن العاص إلى عُمان فإني أرجح الأخذ برواية الطبري الأخيرة التي ذكر فيها أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص إلى

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٥٦.
(٣) العوتبي الصحاري، كتاب الأنساب (عُمان ١٩٨٤)، ج ٣، ص ٢٦٠.

عُمان منصوفه من حجة الوداع[١] والتي يؤيده فيها المسعودي[٢] وطبقاً لهاتين الروايتين يكون الرسول ﷺ قد بعث عمرو إلى عُمان أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م أي قبيل وفاته بعدة أشهر والدليل على ذلك: أنه إذا اعتبرنا تاريخ قدوم عمرو إلى عُمان سنة ٦هـ/٦٢٧م مرفوضاً لإجماع المصادر على أن عمرو بن العاص قد أسلم في صفر سنة ٨هـ/٦٢٩م[٣]، ومن المستحيل إرساله في هذا التاريخ قبل إسلامه، أما أشهر التواريخ فهي قدومه إلى عُمان في ذي القعدة سنة ٨هـ فإن هناك من الروايات ما يجعل هذا التاريخ مستبعداً.

ففي رواية للواقدي تشير إلى أن الرسول ﷺ عندما بعث المصدقين، أي جامعي الصدقات، في هلال المحرم سنة ٩هـ/ ٦٣٠م «بعث عمرو بن العاص إلى فزارة»[٤] كما تشير رواية أخرى إلى أن عمرو بن العاص كان مشاركاً في غزوة تبوك (رجب – رمضان سنة ٩هـ)[٥] كما أن الرسول ﷺ قد أسند إلى عمرو بن العاص بعد ذلك، صدقات قبائل سعد وعذرة وجذام، وأنه عندما أرسله إلى عمان كانت مهمته هناك مؤقتة بالانتهاء من تبليغ رسالة الرسول ﷺ إلى حاكمي عمان والاطمئنان إلى استقرار الأوضاع بها ثم العودة إلى ما أسند إليه من أعمال، فيروي الطبري: «وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عمالة كان رسول الله ﷺ ولاها إياه من صدقات سعد

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ، ص ٢٥٨.
(٢) المسعودي، المصدر السابق، ص ٢٥٦.
(٣) انظر على سبيل المثال: الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، اكسفورد ١٩٦٥، ج٢، ص ٦٦١، ابن سعد، الطبقات، م ٧، قسم ٢، ص ١٨٨، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩.
(٤) انظر: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص ١٠٥٦.

Scanned by CamScanner

هذيم وعذرة ومن لفها من جذام وحدس، قبل ذهابه إلى عُمان، فخرج إلى عُمان وهو على عدة من عمله إذا هو رجع، فأنجز له ذلك أبو بكر»[1].

مما سبق يتضح أن عمرو بن العاص قد أسند إليه بعض الأعمال من قبل رسول الله ﷺ وكلها تأتي بعد سنة ٨هـ/٦٢٩م ومن المستحيل أن يباشر هذه الأعمال وأن يكون في عُمان في نفس الوقت، مما يرجح ما ذهبنا إليه من أنه جاء إلى عُمان مبعوثاً من الرسول ﷺ في أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م بعد حجة الوداع.

أما عن شخصية أبي زيد الأنصاري الذى أشار إليه خليفة بن خياط إشارة عابرة، وذكره البلاذري مشاركاً لعمرو بن العاص في حمل الرسالة إلى عُمان، ولم تذكره بعد ذلك المصادر الأخرى فإني أرجح رواية البلاذري الثانية التي تقول أن أبا زيد هذا قد جاء إلى عُمان سنة ٦هـ/٦٢٧م وكان دوره تعليم الناس في عُمان أمور الدين الإسلامي والقرآن[2] وفي هذه الحالة فإن أبا زيد لم يكن يحمل رسالة لأن قدومه إلى عُمان قد يكون استجابة لطلب أحد الوفود العُمانية التى سبق أن ذكرناها. وبالتالي فإن رحيله عن عُمان كما يشير البلاذري وابن خياط كان قبل قدوم عمرو بن العاص إليها حاملاً رسالة الرسول ﷺ[3].

وفيما يتعلق برسالة الرسول ﷺ إلى حاكمي عُمان، فنلاحظ وجود أكثر من رسالة موجهة إلى عُمان في العصر النبوي، أهمها الرسالة الرسمية التي بعثها الرسول ﷺ إلى ملكي عُمان عبد وجيفر، وينفرد القلقشندي بذكر نصين

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٨٩.
(٢) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ص ٢٦، الحميري، الروض، ص ٤١٣.
(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ٦٢، البلاذري، فتوح، ص ٩٢، ٩٣.

لهذه الرسالة: النص الأول أوردته معظم المصادر، أما النص الثاني: فينقله عن كتاب الأموال، ويعتبرهما القلقشندي نصين لرسالة واحدة، ولأهميتهما في دراستنا، فسنعرض النصين:

النص الأول: «من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى. أمَّا بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسْلِمَا تَسْلَمَا، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي في ملككما. وكتب أبي بن كعب»[1].

ويستطرد القلقشندي فيقول: «وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب إليهما: من محمد رسول الله لعباد الله (أسيد بن ملوك عُمان وأسيد عُمان) – هكذا – من كان منهم بالبحرين، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي ﷺ ونسكوا نُسك المسلمين، فإنهم آمنون، وأن لهم ما أسلموا عليه..»[2].

ونلاحظ تحريفاً واضحاً وقع فيه القلقشندي عند نقله لرواية أبي عبيد فالرسالة عنده موجهة «من محمد رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عُمان وأسد عُمان .. إلخ»[3].

(١) انظر: العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ٢٦٠، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (طبع الهيئة العامة للكتاب)، ج ٦، ص ٣٨٠، علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت بدون تاريخ، مجلد ٣، ص ٣٠١، السالمي، تحفة، ص ٣٩.
(٢) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٠.
(٤) انظر النص الأصلي للرسالة بكتاب الأموال، ص ٢٦.

Scanned by CamScanner

ونحن لا ندري إن كان هذا التحريف قد حدث عن عمد، حيث أريد لها أن تكون موجهة إلى «أسد عُمان» لتتفق مع الرواية الأولى فذكرت عبارة «أسيد بن ملوك عُمان» بدلاً من الأسبذيين، أو كان التحريف عارضاً نتيجة لخطأ في النسخ.

وكيفما كان الأمر فإن أبا عبيد يشرح ما أورده في هذه الرسالة من عبارة «عباد الله الأسبذيين» بأنهم سموا بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس، وهو بالفارسية «أسب» فنسبوا إليه، أما قوله «لعباد الله» يعني «بني عبد الله بن دارام» وهم قوم من الفرس[1]. ولكن الجواليقي يصحح بعض المفاهيم التي جاءت عند صاحب الأموال والقلقشندي، فمن تفسيراته أن أسبذ: اسم قائد من قواد كسرى، فارسي، وقد تكلمت به العرب وقيل «عبيد أسبذ» وكان يخاطب بهذا عبد القيس، كما قيل أن أسبذ قرية بالبحرين، وكان أصل سكانها من قرية بنفس الاسم في عُمان»[2].

ومن المؤكد أن هناك قبائل من أصل واحد منتشرة في البحرين وعُمان من الأزد وعبد القيس وربيعة وغيرها. فرواية اليعقوبي توضح ذلك فيقول: «وكان تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم، فكان أول من صار منهم إلى عُمان مالك بن فهم .. بن الأزد، وتزوج مالك بأمرأة من عبد القيس، ثم لحق بمالك جماعة من بطون الأزد منهم: الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي .. فلما صاروا بعُمان انتشروا بالبحرين وهجر»[3].

---

(١) كتاب الأموال، ص ٢٧.

(٢) انظر: الجواليقي، المعرب، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩، ص ٨٦ – ٨٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

وهكذا يتضح أن الرسالة الثانية كانت موجهة إلى العناصر الفارسية ومن ينضوي تحت قيادتهم من العرب، فتشير المصادر أن أساورة[1] الفرس في عهد الرسول ﷺ كانوا منتشرين في مناطق متعددة على ساحل الخليج ومنها عُمان، وكانوا يحكمون هذه المناطق باسم الدولة الفارسية، كما ذكرت هذه الروايات اسم شخصية عُمانية يسمى صاحبها «أبو شداد الزماري العُماني» الذي يأتي على لسانه أنه قد وصلت إلى عُمان رقعة من الرسول ﷺ مكتوبة على الجلد موجهة إلى الأساورة، ولم يجدوا من يقرؤها لهم، حتى عثروا على فتى استطاع قراءتها واستمعوا إلى فحواها. فلما سئل أبو شداد عن من كان على عُمان، قال: أسوار من أساورة كسرى[2].

ومن المحتمل أن الرسالة التي يتحدث عنها أبو شداد العُماني هي الرسالة الثانية التي أوردها القلقشندي نقلاً عن أبي عبيد، لأنها مكتوبة باللغة العربية وموجهة إلى العناصر الفارسية على سواحل عُمان مما جعل من الصعب عليهم قراءتها كما أشرنا، حتى جاء فتى يعرف الفارسية والعربية فأسمعهم ترجمتها، ويؤكد هذا المعنى العوتبي الصحاري فيقول: أنه عندما صار ملك عُمان إلى آل الجلندي بن المستكبر المعولي، وصار ملك فارس إلى آل ساسان كانت المهادنة بينهما، فكان بعُمان طبقاً لشروط هذه المهادنة أربعة آلاف من الأساورة والمرازبة مع عامل يكون للفرس بعُمان، وكانت المهادنة تحدد أماكن تواجد الفرس في السواحل وشطوط البحر، وظل الفرس على

---

(١) الأساورة عناصر عسكرية فارسية، ويقال أن لهم جذوراً هندية كانوا منتشرين في معظم سواحل الخليج قبل الإسلام، ولما انتشر الإسلام دخل بعضهم فيه وشاركوا المسلمين في غزواتهم (انظر: الجواليقي، ص ٦٨، القاضي أطهر مباركبوري، ا لعرب والهند في عهد الرسالة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧١ – ٧٢).

(٢) انظر: القاضي مباركبوري، المرجع السابق، ص ٧٦.

Scanned by CamScanner

حالهم هذا حتى ظهور الإسلام وانتشاره بعُمان[1] مما جعل الرسول ﷺ يوجه إليهم رسالة خاصة بهم لأنهم كيان مستقل له نفوذه وسيطرته على بعض الأراضي العُمانية يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام.

ومما يرجح هذا الرأي أن هناك سوابق مماثلة حدثت في البحرين فيروي ابن سعد أن الرسول ﷺ قد أرسل كتاباً إلى مجوس هجر - وهم الفرس ومن تبعهم بطبيعة الحال - يدعوهم فيها إلى الإسلام فإن أبوا أخذت منهم الجزية[2] وكان في نفس الوقت قد أرسل رسالة إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين يدعوه فيها إلى الإسلام[3] والمعروف أن هجر كمدينة كانت عاصمة البحرين، وأحياناً كان يطلق على البحرين كلها هِجْر في ذلك الوقت[4].

والظاهر أن هؤلاء الأسبذيين كانوا منتشرين في البحرين وعُمان كما جاء في نص الرسالة، وأن بعض هؤلاء قد رحل إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ ليعرفوا منه الوضع الخاص بهم في ظل انتشار الإسلام في المنطقة، فكان قرار الرسول ﷺ بشأنهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية[5] كما نصت رسالة الرسول ﷺ السابق الإشارة إليها.

ومما تقدم نرجح أن الرسول ﷺ قد بعث برسالتين إلى عُمان، الرسالة الأولى الموجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان وكان يحملها عمرو

(١) انظر: العوتبي، الأنساب، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٩، البلاذري، فتوح، ج ١، ص ٩٥.
(٣) انظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٢٦.
(٤) انظر: صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٩٥٤، ج ٣، ص ١٤٥٢.
(٥) الجواليقي، المعرب، ص ٨٨.

ابن العاص، أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى الفرس المقيمين بعُمان باعتبارهم قوة مستقلة لها رئاستها الخاصة يدعوهم أيضاً إلى الدخول في الإسلام، وإن كنا لا نعلم تاريخ هذه الرسالة أو حاملها.

وكيفما كان الأمر فإنه من المهم بمكان معرفة تأثير رسائل الرسول ﷺ على الذين أرسلت لهم، ومدى استجابتهم لدعوته لهم إلى الدخول في الإسلام.

فالرسالة الأولى كانت موجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان، وواضح أنه رغم انتشار الإسلام في عُمان وذهاب وفود من القبائل العُمانية إلى المدينة تعلن إسلامها، إلا أن حاكمي عُمان لم يكونا قد أسلما بعد، ومن المهم تحديد موقفهما من الإسلام لتأثير هذا على عُمان ككل وعلى القبائل التي لم تدخل الإسلام حتى ذلك الوقت.

وأقدم الروايات في هذا الشأن يوردها ابن سعد برواية مسندة لحامل الرسالة عمرو بن العاص، يفهم منها أن عمرو عندما قدم على عُمان أتيح له في البداية مقابلة عبد بن الجلندي الذي أحسن استقبال عمرو لذلك يصفه بأنه «أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً»، ولما عرف عبد المهمة التي جاء لها عمرو أفهمه أنه لا يستطيع أن يتصرف في هذا الأمر لأن أخاه هو المقدم عليه بالسن والملك، ووعده بأن يقدمه إلى جيفر حتى يقرأ كتابه، ويفهم من عبارة لعمرو بأنه مكث أياماً ببابه قبل الإذن له بمقابلته، وأنه أعطى تلميحاً لعبد عن فحوى الرسالة ودعوتهم للدخول في الإسلام وليس تفاصيلها، وأن هذه الأيام كانت بمثابة مشاورات وتقدير موقف لتحديد الرد المناسب، ورغم ذلك فالنص يذكر أن عمرو عند لقائه بجيفر سلمه كتاب الرسول ﷺ مختوماً ففض خاتمه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، وطلب جيفر من عمرو أن يترك له

Scanned by CamScanner

فرصة يوم ليرد على كتابه[1] فلما التقى عمرو بالأخوين في اليوم التالي، كان رد جيفر هو رفض الرسالة وقال لعمرو: «إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إذا ملكت رجلاً ما في يدي»[2].

ولا تذكر المصادر العُمانية هذا الرفض، ولكن تشير إلى أن جيفر قال لعمرو إن ما يدعوه إليه في هذا الكتاب أمر جسيم، وإنه سيتدبر الأمر ثم يُعلمه، فعقد مجلساً ضم رؤساء الأزد كما استدعى «كعب بن برشه» وكان نصرانياً قد سبق أن التقى بالرسول ﷺ في المدينة وأعلن إسلامه على يديه وعاد إلى وطنه عُمان[3] وجرت مشاورات وسأل المجتمعون كعب عن حقيقة أمر النبي ﷺ فأقر بنبوته وأنه سيظهر على العرب والعجم، فاستجاب عبد وجيفر ملكي عُمان إلى الإسلام[4] وهذا يتسق مع رواية ابن سعد على لسان عمرو، السابقة حيث يذكر أنه بعدا لرفض السابق ذكره، أعلن عمرو أنه راحل إلى المدينة، فلما تأكد جيفر من رحيله أرسل إليه «فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدّقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم»[5].

وواضح أن الفترة الزمنية بين رفض جيفر وإسلامه طبقاً لرواية ابن سعد هي التى ذكرها العوتبي كفترة استشارة وتدبر من جانب جيفر قبل الإقدام على هذه الخطوة الخطيرة وإخضاع ملكه ودولته للإسلام، ولم يكتف الأخوان بذلك، بل يروي العوتبي أن جيفر «بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨.
(٣) انظر التفاصيل، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.
(٤) انظر: الأنساب، ص ٢٦١، قارن: ابن سعد، المصدر السابق، ص ١٨.
(٥) انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ص ١٨.

لمحمد ﷺ وأدخلهم في دينه، وألزمهم تسليم الصدقة، وأمر عمرو بن العاص بقبضها، فقبضها على الجهة التي أمر بها النبي ﷺ ثم بعث إلى مهرة والشحر[1] ونواحيها، .. ثم بعث إلى دبا وما يليها إلى آخر عُمان، فما ورد رسول جيفر إلى أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته»[2].

وهكذا يُفهم من المصادر أن عُمان قد أقبلت على الإسلام وأن المناطق الخاضعة لسلطان جيفر قد خضعت لأوامره واستجابت لدعوته من دبا إلى مهرة والشحر، إلا أن العناصر الفارسية الموجودة على سواحل عُمان طبقاً للمهادنة التي سبق ذكرها، والتي أشرنا إلى أن الرسول ﷺ قد أرسل إليهم رسالة يدعوهم فيها إلى دخول الإسلام، هذه العناصر رفضت الاستجابة إلى دعوة جيفر لهم بدخول الإسلام ويبدو أن جيفر قد وجد الفرصة سانحة أمامه ليتخلص من العناصر الفارسية التي تسيطر على أجزاء من سواحل عُمان، فالتقى جيفر بزعماء الفرس في عُمان وخيّرهم بين أمرين: الدخول في الإسلام أو الرحيل عن عُمان[3] ولكن الفرس رفضوا كلا الخيارين، فكان الصدام العسكري أمراً حتمياً في هذه الظروف إذ صمم الطرفان على موقفهما، ويبدو أن جيفر كان مؤيّداً من جانب أعداد كثيرة من أهل عُمان، الذين وجدوا الفرصة سانحة للتخلص من نفوذ الفرس في

(١) يذكر الاصطخري أن بلاد مهرة قصبتها الشحر ويقال أنها من عُمان، أي تابعة لعُمان (انظر: كتاب الأقاليم، بغداد بدون تاريخ)، ص ١٤، ويذكر النويري أن وفوداً من أهل مهرة والشحر سبق أن وفدت على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا إسلامهم أمامه وهذا قبل أن تصلهم دعوة جيفر مما سهل مهمة دخولهم في الإسلام (انظر: نهاية الأرب، ج ١٨، ص ١١٧، ١١٨×.
(٢) انظر: العوتبي، المصدر السابق، ص ٦١، قارن: قدامه بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢٧٦، السيرة الحلبية، مجلد ٣، ص ٣٠١ – ٣٠٣.
(٣) انظر: العوتبي، المصدر السابق، ص ٢٦٢، السالمي، تحفة الأعيان، ص ٤٠.

Scanned by CamScanner

بلادهم، فيروي العوتبي «واجتمعت الأزد إلى جيفر بن الجلندي. وقالوا: لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم»[1].

وواضح أن الفرس لم يستطيعوا إدراك الروح الجديدة التي دبت في القبائل العُمانية بعد دخولها في الإسلام ا لذي ألف بينهم تحت راية واحدة وقيادة واحدة، فاستعد الجانبان للقتال، ودارت معركة عنيفة بين الأزد والفرس بالقرب من صحار انهزم فيها الفرس وحوصروا بعد الهزيمة في حصن لهم يسمى دستجرد قرب صحار، وطال حصارهم وأيقنوا الهزيمة، فطلبوا الصلح من العُمانيين الذين استجابوا لهم ولكن بشروط المنتصر الذي يملي رغبته فيذعن لها المهزومون وكانت الشروط أن يخرج الفرس من عُمان بأهلهم ومن تبعهم، وأن يتركوا كل ما يملكون من سلاح وكراع وأموال[2] فأذعن الفرس لهذه الشروط إنقاذاً لأرواح من تبقى منهم بعد أن قتل في المعركة عدد كبير منهم وعلى رأسهم عامل الفرس على عمان[3].

وهكذا تمكن العُمانيون باتحادهم تحت راية الإسلام من القضاء على نفوذ الفرس في بلادهم وأصبحت بلادهم خالصة لهم لا يشاركهم في خيرها عناصر أجنبية، ويعتقد ولكنسن أنه «كان من أشد ما جذب عرب عمان إلى الإسلام أنه أتاح لهم أن يتخلصوا من الحكم الفارسي وأن يملكوا البلاد بقراها الغنية وأن يجنوا ثمرات التجارة البحرية[4]. وهذه العبارة لا تستقيم بهذا الشكل، لأنه جعل العمانيين يدركون مسبقاً نتائج دخولهم في الإسلام، وجعل من النتيجة سبباً.

(١) العوتبي، نفسه، ص ٢٦١، السالمي تحفة، ص ٤٠.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٠ – ٤١.
(٣) العوتبي: الأنساب، ص ٢٦٥، الازكوي، المرجع السابق، ص ٣٨.
(٤) انظر: ج. ص. ولكنسن، بنو الجلندي في عمان (طبع وزارة التراث في عُمان، أكتوبر ١٩٨٢)، ص ١٢.

وأصبحت عُمان منذ ذلك الوقت جزءاً من الدولة الإسلامية الناشئة، وكانت قيادة الحكم في عُمان في يد الأخوين عبد وجيفر طبقاً لوعد الرسول لهما في كتابه إليهما حيث قال: «إنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تُقرّا فإن ملككما زائل عنكما»[1]، فكان على عُمان عند وفاة رسول الله ﷺ عبد وجيفر ابنا الجلندي[2] وكان هناك تعاون وثيق بين الأخوين وبين عمرو بن العاص في هذه الفترة، فيروى أنه بعد أن دخل الأخوان في الإسلام وصدّقا النبي ﷺ «خلّيا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنى وفاة رسول الله ﷺ»[3].

وواضح أن التعاون بين عبد وجيفر وبين عمرو بن العاص جعل الأحوال مستقرة في عُمان، وهذا الاستقرار يمكن استنتاجه من الأحداث المهمة والخطيرة التي أعقبت وفاة الروسل ﷺ.

(١) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٠.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢، الحميري، الروض، ص ٤١٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

عُمـان والخلافة الراشدة

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني
عُمان والخلافة الراشدة

اضطربت شبه الجزيرة العربية من أقصاها إلى أدناها في أعقاب وفاة الرسول ﷺ وتشير المصادر إلى أن عمرو بن العاص عندما وصله نبأ وفاة الرسول ﷺ، قرر العودة إلى المدينة، ونحن لا ندري سبباً مؤكداً لهذه الرغبة من جانب عمرو في هذا الوقت بالذات، وهل جاءه استدعاء من المدينة، أم غادر عمان من تلقاء نفسه، ليس في المصادر ما يجيب عن هذه التساؤلات، ولكن ما يؤكده هذا التحرك من جانب عمرو هو أن الأحوال في عُمان كانت مستقرة – في هذه الفترة على الأقل –، وأن عمرو كان مطمئناً على حسن إدارة الأخوين عبد وجيفر وتمسكهما بالإسلام.

وهناك إشارة في الطبري توحي بأن عمرو ربما عاد إلى المدينة ليتولى بعض الأعمال التي كان أسندها إليه الرسول ﷺ قبل بعثه إلى عُمان، على وعد بأن يعود إليها بعد إنجاز مهمته فيها، فاستجاب أبو بكر لذلك(١)، وربما احتاجه أبو بكر للتصدي للمخاطر التي كانت نذرها تخيم على المدينة آنذاك(٢).

وكيفما كان الأمر، فما كاد عمرو بن ا لعاص يعلن عن رغبته في مغادرة عُمان، حتى جهز العُمانيون وفداً لمصاحبته ضم حوالي سبعين فارساً على رأسهم بعض زعماء عُمان منهم عبد بن الجلندي وأبو صفرة(٣) والد المهلب، وكان هذا الوفد في حقيقته خفارة لعمرو بن العاص خوفاً عليه من مخاطر الرحلة من عُمان إلى المدينة في هذه الظروف التي شاع فيها الاضطراب

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٢) المعروف أن عمرو بن العاص كان أحد القواد الذين جهزهم أبو بكر لقتال أهل الردة (انظر: النويري، الصمدر السابق، ة ١٩، ص ٦٤).

(٣) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٩، (تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٢)، السالمي، تحفة، ص ٤٣.

Scanned by CamScanner

والتمرد بين القبائل، وكان عمرو بن العاص شخصية معروفة لدى زعماء القبائل الذين أحسنوا استقباله والوفد المرافق له خلال رحلته، فمر في طريقه بالبحرين والتقى بالمنذر بن ساوي وهو على فراش الموت، فاستشاره المنذر ماذا يفعل بثروته قبيل وفاته فأشار عليه عمرو بأن يتصدق بصدقة تجري من بعده، فاستجاب المنذر لنصيحته[1]، ثم خرج من عنده فسار في مضارب بني تميم، ومنها إلى بلاد بني عامر، فاستقبله قرة بن هبيرة القشيري، ورغم أن قرة ومن معه من بني عامر كانوا على وشك الخروج على الإسلام أو حسب رواية الطبري «وقرة يقدم رِجْلاً ويؤخر رِجْلاً، وعلى ذلك بني عامر كلهم»[2] إلا أن قرة أحسن استقبال عمرو بن العاص، فأكرمه وأبره[3] واقترح عليه قرة أن يتنازل أبو بكر عن مطالبة القبائل بالزكاة وقال «فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم، فقال عمرو: أكفرت يا قرة،[4] وحدثت بين عمرو وقرة مشادة انتهت بتهديد عمرو له بأن يدخل عليه بجيوش المسلمين في عقر داره، وتظهر هنا أهمية الخفارة العُمانية التي كانت تصاحب عمرو، والتي جعلت قرة لا يفكر في الانتقام من عمرو وهو في دياره وبين رجاله[5] وعندما وصل عمرو بن العاص إلى المدينة طاف به الناس يسألونه عما وراءه من أخبار، فأخبرهم

(١) انظر: الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨، ص ٣٠٢، انظر أيضاً: السالمي، تحفة، ص ٤٤ – ٤٦.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٣) انظر: البلاذري، فتوح، ص ١١٦.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٩.
(٥) لما وقع قرة في الأسر على يد خالد بن الوليد، ووقف بين يدي أبي بكر في المدينة، أنكر أنه ارتد عن الإسلام، واستشهد على ذلك بحسن معاملته لعمرو بن العاص عند قدومه عليه من عمان، وطلب شهادة عمرو الذي قال الحقيقة فعفا عنه الخليفة (تاريخ الطبري، ج ٣، ص٢٦٠).

باضطراب القبائل وتمردها[1] والتقى الوفد العُماني المصاحب لعمرو بن العاص بالخليفة أبو بكر، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين، فقدم عمرو بن العاص إلى الخليفة، وقال: «هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليك. فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً»[2] وأثنى أبو بكر والمسلمون على العُمانيين لموقفهم المؤيد للإسلام في هذه الظروف المضطربة التي تمر بها الدولة الإسلامية[3].

أحداث الردة في دبا:

ارتدت معظم القبائل العربية عن الإسلام في أعقاب وفاة الرسول ﷺ، ورغم المبالغة في أن يقال «ارتدت العرب كلها إلا قريشاً وثقيفا»[4] فإن حركة الردة شملت معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وإذا نحينا جانباً حركة التنبؤ بين زعماء بعض القبائل والتي ترجع إلى فترة النبوة، نجد السبب الأساسي لردة العرب هو الاعتراض على دفع الزكاة، فنتيجة لعدم التعمق في فهم تعاليم الإسلام، اعتبرت القبائل التي ارتدت أن الزكاة إتاوة تنقص من سيادتهم[5] وجاءت وفود العرب للقاء الخليفة الأول أبي بكر الصديق «يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة، فلم يقبل هذا منهم»[6].

وهذا الموقف في حقيقة الأمر يوضح أهمية الوفد العُماني الذي صحب عمرو ابن العاص في رحلته إلى المدينة، فبالإضافة إلى مهمته في تسليم عمرو سالماً،

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (طبعة الهيئة العامة للكتاب)، ج ٢، ص ٧٦، السالمي، تحفة، ص ٤٣.
(٣) انظر التفاصيل: السالمي، تحفة، ص ٤٣ – ٤٤.
(٤) انظر: النويري، المصدر السابق، ج ١٩، ص ٦١.
(٥) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٩.
(٦) النويري، المصدر السابق،

Scanned by CamScanner

فإنه أعلن تأييده ومبايعته للخلافة الإسلامية، ويقال أن أبا بكر استنهض عبد ابن الجلندي لمقاتلة آل جفنه وهم عناصر من الغساسنة في الشام فاستجاب عبد لذلك وقام بالمهمة على أفضل وجه[1] . ففي الوقت الذي كانت بعض القبائل تساوم فيه حول فروض الإسلام، ترضى بهذا وتترك ذاك، كان الوفد العُماني في المدينة يقف بجانب الخلافة ويعلن تأييده لها ويشارك في الدفاع عنها، وفي رأينا أن هذا الوفد يغير كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي قيلت عن ردة عُمان أو ردة دبا كما جاء في المصادر. ولتحليل هذا الخبر والبحث عن الحقيقة، فإنا سنتبع المنهج الذي بدأنا به في بحثنا هذا باستعراض المصادر وتحليلها قبل الوصول إلى رأي محدد.

وأقدم الروايات ما ذكره ابن سعد[2] عن ردة أهل دبا، ورغم ما في روايته من بعض الغموض في الأسماء والأحداث، إلا أنه قد قصر حركة الردة على «أهل دبا» ولم ينسبها إلى كل عمان كما ذكرت بعض المصادر، ودبا في تصوره تقع «فيما بين عمان والبحرين» وكان أهلها قد أسلموا وذهب وفد منهم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، مقرين بالإسلام، فبعث عليهم من يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم، ويذكر اسم «حذيفة بن اليمان الأزدي[3] على أنه مبعوث للرسول ﷺ إليهم، وأعتقد أن ابن سعد قد اختلط عليه الأمر، ولعله يقصد حذيفة بن محصن الغلفانى الذى يجئ ذكره بعد ذلك منسوبا بالدبا، فحذيفة بن اليمان لم يكن أزديا بل ينسب إلى

(١) انظر: التافصيل، السالمي، تحفة، ص ٤٤.
(٢) رغم أن خليفة بن خياط أقدم زمنياً من ابن سعد، إلا أنه يذكر عبارة مقتضبة عن هذه الحادثة: «وبعث أبو فكر عكرمة بن أبي جهل إلى عمان» بدون أي تفاصيل: انظر، تاريخ خليفة ابن خياط، ج ١، ص ٨٤.
(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، م ٥، قسم ٢، ص ٣٨٥.

عبس بن بغيض بن تريث بن غطفان بن قيس عيلان، بطن من مضر»[1] والغريب أن ابن سعد نفسه يترجم في نفس المصدر لحذيفة بن اليمان الصحابي المشهور الذي شهد مع الرسول ﷺ معظم الغزوات، ولم يذكر أنه كان عاملاً للرسول على دبا أو شارك في معارك الردة في دبا[2] .

ويكمل ابن سعد روايته التي نوجزها في أنه في أعقاب وفاة الرسول ﷺ ارتد أهل دبا ومنعوا الصدقة، فكتب «حذيفة» إلى أبي بكر بذلك، فوجه إليهم عكرمة بن أبي جهل الذي حاربهم وهزمهم، فلجأوا إلى حصن دبا فتحصنوا فيه وحاصرهم المسلمون حتى أجهدهم الحصار، وطلبوا الصلح، ثم نزلوا على حكم حذيفة الذي أمر بقتل مائة من أشرافهم وسبي ذراريهم وبعث إلى أبي بكر في المدينة، وهمّ أبو بكر بقتلهم باعتبارهم مرتدين عن الإسلام، لولا أن تدخل عمر بن الخطاب وقال له: «يا خليفة رسول الله، قوم إنما شحوا على أموالهم»[3] . فأمر أبو بكر بحبسهم، وبعد وفاة أبي بكر أطلق عمر سراح هؤلاء الأسرى وقال لهم: «قد أفضى إلي هذا الأمر، فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم»[4] .

(١) انظر: الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨، وعن نسب حذيفة بن اليمان انظر أيضاً: ابن قتيبة، المعارف، (تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٩)، ص ٢٦٣.
(٢) يذكر ابن سعد في ترجمته لحذيفة هو: ابن حسيل بن جابر بن ربيعة، وهو اليمان بن الحارث بن قطعة بن عبس، لم يشهد بدراً، وشهد أحد والخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع الرسول(ﷺ) واستعمله عمر بن الخطاب على المدائن ومات سنة ٣٦هـ (انظر: الطبقات، م٧، قسم ١، ص ٦٤).
(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ص ٧٢.
(٤) ابن سعد، نفس المصدر والصفحة.

Scanned by CamScanner

أما الرواية الثانية فيرويها الطبري ومن أخذ عنه وتتلخص في أنه غلب على عُمان مرتد «ذو التاج» لقيط بن مالك [1] الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية «الجلندي» وادعى النبوة[2] والظاهر أن ملكى عمان عبد وحيفر قد حاولا الوقوف فى وجهه والتصدى لحركته، ولكنه تمكن من الانتصار عليهما مما اضطرهما إلى الاحتماء بالجبال والشطوط البعيدة، واضطر الأخوان أمام هذا الخطر على نفوذهما وملكهما أن يستنجدا بالخلافة الراشدة في المدينة، فبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره بحقيقة الوضع في عمان، وطلب منه إرسال جيش للمساعدة في القضاء على ثورة لقيط بن مالك، فأرسل أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلفاني وعرفجه البارقي من الأزد على أن يبتدئا بعُمان ثم مهرة وأن يسارعا إلى عمان فإذا اقتربا منها كاتباً الأخوين جيفر وعبد «وعملا برأيهما»[3].

ولم يكتف أبو بكر بذلك، فإنه عندما بلغه خبر هزيمة عكرمة بن أبي جهل على يد مسيلمة الكذاب باليمامة، كتب إليه يعنفه على تسرعه، وأمره أن يلحق بعمان ليساعد حذيفة وعرفجة في مهمتهما هناك[4]، والتقت الجيوش الإسلامية قبل الوصول إلى عمان، وراسلوا جيفرا وعبدا حسب تعليمات الخليفة، فتحرك الأخوان بأعوانهما إلى صحار حيث التقوا بجيوش الخلافة. ويبدو من عبارات الطبري أنهم أقاموا فترة في صحارى نظموا فيها

(١) يسميه ابن حزم «زيد الأعور بن جيفر بن الجلندي المذكور» وكان قد سبق وذكر جيفر وعبد ابنا الجلندي ملكاً عمان، فهل لقيط هذا أو زيد الأعور كان أحد أبناء الجلندي وانشق على والده، لو صح هذا لكانت أحداث الردة تحوي في جوهرها ثورة أسرية الهدف منها الاستحواذ على السلطة في عمان (انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، (القاهرة ١٩٨٢)، ص٣٨٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣ ، ص ٣١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، م ٥، ص ٣٧٢.

(٤) الطبري، نفسه، ص ٣١٥، ابن كثير، نفسه.

صفوفهم، وأمنوا جيوشهم، وأيقنوا ولاء القبائل القريبة منهم، وعملوا على شق صفوف غريمهم «لقيط بن مالك» «وكاتبوا رؤساء مع لقيط وبدأوا بسيد بني جديد[1] فكاتبهم وكاتبوه حتى انفضوا عنه»[2].

تحركت الجيوش الإسلامية المكونة من جيش الخلافة بالإضافة إلى ما تحت يد الأخوين جيفر وعبد من أعوان في اتجاه دبا، ولم يذكر الطبري عدد هذه الجيوش، ولكن يتضح من الرواية أن لقيطاً كان قد استعد لهذا اللقاء وحشد جيشاً قوياً واتبع الحيلة المعروفة لدى العرب بأن جمع الأطفال والنساء في مؤخرة جيشه ليحمس المقاتلين على عدم التراجع، ونشبت بين الجانبين معركة قوية كاد أن يهزم فيها المسلمون «وقد رأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر»[3] لولا أن انضمت إلى صفوف المسلمين عناصر من القبائل التي كانت على إسلامها من بني ناجية وعبد القيس وأهل عمان، فانقلب الحال وحلت الهزيمة بجيش لقيط وقتل من رجاله في المعركة عشرة آلاف، وسبي الذراري وقسمت الأموال على المسلمين الذين استولوا على سوق دبا غنيمة.

اتفق المنتصرون على أن يبقى حذيفة بن محصن في دبا لتهدئة أهلها، وأسكن القبائل التي أيدت الجيش الإسلامى في المناطق التي أفاء الله بها على المسلمين «ويذكر نص الطبرى أنه لما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من (ردة عُمان)، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر من حول عمان وأهل عمان، وسار حتى يأتي مهرة معه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب، وسعد ومن بني تميم بشر، حتى اقتحم على مهرة بلادها» (٤).

(١) منسوب إلى الجديدة، قبيلة من خولان (الهمداني، عجالة، ص ٣٧).

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٦، النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٠٤.

Scanned by CamScanner

هذا مجمل رواية الطبري، أما رواية قدامة بن جعفر فهي تتناقض في شقها الثاني مع تسلسل الأحداث كما جاء في الطبري حيث يذكر قدامه أن الردة كانت من جانب «قبائل الأزد» في دبا بقيادة «ذو التاج» لقيط بن مالك، وبعد أن قضى عليها المسلمون، يقول: «وارتدت طوائف من أهل عمان ولحقوا بالشحر فسار إليهم عكرمة فظفر بهم»[1].

وهذا يتنافى مع رواية الطبري السابقة عن مشاركة قبائل عمان في جيش عكرمة المتوجه إلى مهرة والشحر، فالطبري يذكر في سياق روايته للمعركة «فولى المشركون الأدبار»[2] مما يجعل احتمال فرار هؤلاء إلى الشحر قائماً، ولكن يظل في النهاية عدم الدقة في تحديد المسميات لدى هذه المصادر قائماً، أهي ردة في دبا أم ردة أهل عمان .. وسوف نناقش هذا فيما بعد.

أما عن أهم الروايات حول هذا الموضوع بعدما سبق استعراضه فقد جاءت في معجم البلدان لياقوت، فبعد التعريف بدبا وبسوقها المشهور يذكر هذه العبارة الغريبة «فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصديق سنة ١١هـ/٦٣٢م، وأميرهم حذيفة بن محصن فقتل وسبي»[3] ونحن لا ندري من أين استقى ياقوت الحموي هذه الرواية، وماذا يقصد بالفتح، وهل المقصود إعادة دبا إلى كنف الخلافة الإسلامية في أعقاب ثورة لقيط بن مالك؟ .. فهي عبارة غامضة ومضطربة.

ومن الجدير بالاهتمام أن ياقوت ينقل رواية أخرى عن ردة أهل دبا منسوبة إلى الوافدى لا تختلف كثيراً عن رواية ابن سعد، غير أنه لا يقع في

(١) قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٢٧٧.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٦.
(٣) انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٥.

خطأ ابن سعد حول اسم الوالي على دبا، فيقول أنه في حياة الرسول كان على صدقات دبا حذيفة بن محصن، فكا يأخذن صدقات أغنيائهم فيردها إلى فقرائهم، فلما مات الرسول ارتدوا ولم يستجيبوا لدعوة حذيفة بالطاعة وأسمعوه شتما لرسول الله ﷺ وأبي بكر، فكتب حذيفة إلى أبي بكر بالأمر، فوجه لقتالهم عكرمة بن أبي جهل[1] ولا يأتي ذكر الأخوين عبد وجيفر ودورهما في ردة دبا، ولكن يذكر الحرب بين عكرمة وأهل دبا بقيادة لقيط ابن مالك الأزدي الذي هزم واضطر إلى الاحتماء بحصن دبا، وحاصرهم المسلمون شهراً، فسألوا حذيفة الصلح، فاشترط عليهم حذيفة الخروج من الحصن بدون سلاح، وبعد أن استولى المسلمون على المدينة حكم فيهم حذيفة بقتل أشرافهم وسبي ذراريهم، فقتل من أشرافهم مائة رجل، وقدم حذيفة بسبيهم إلى المدينة فاختلف المسلمون بشأنهم، فأراد أبو بكر قتل من بقي من المقاتلة ويستمر في الرواية مثل ابن سعد حتى إطلاق سراح الأسرى في خلافة عمر بن الخطاب، ولكنه يقول: «وأقام عكرمة بدبا عاملاً لأبي بكر»[2] ويمكن ملاحظة اختلاف هذه الرواية عما أورده الطبري، ولو أنها قريبة إلى حد بعيد من رواية ابن سعد.

وهكذا ذكرت المصادر بالإجماع أن ردة قد حدثت في دبا وفي الشحر، وطبقاً للروايات التاريخية والمعلومات الجغرافية فإن دبا والشحر[3]

(١) انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٢) انظر: ياقوت، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٣) انظر: الاصطخري، كتاب الأقاليم، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ)، ص ١٤، الذى يذكر أن بلاد مهرة قصبتها الشحر ويقال أنها من عمان.

Scanned by CamScanner

كانتا من توابع عُمان[1] مما دفع بعض المؤرخين إلى إطلاق ردة الجزء على الكل فقيل «ردة عُمان»، فلا يمكن إنكار أن أجزاء من عمان قد حدث بها تمرد أوردة مما دفع الجيوش الإسلامية إلى التصدي لها والقضاء عليها، وهذا ما يحاول المؤرخون العُمانيون تجاهله أو نفيه تماماً، وسألخص هنا وجهة نظرهم طبقاً لرواية السالمي في تحفة الأعيان.

يرى السالمي أن الأمر لا يعدو كونه سوء تقدير حدث من جباة الصدقات في دبا أثناء تعاملهم مع امرأة من هذه المدينة أجبروها أن تؤدي ما عليها من زكاة، فاستصرخت قومها آل مالك، فظن حذيفة بن محصن أنها دعوة جاهلية وأن القوم ارتدوا عن الإسلام، فأغار عليهم وأخذ منهم سبياً فمضى بهم إلى المدينة، فوفد على أبي بكر وفد من أهل دبا شرحوا له مشكلتهم مع حذيفة، وأنهم على إسلامهم لم يجاهروا بالردة أو امتنعوا عن الزكاة، فخيرهم أبو بكر بين السبي والأموال، وفي رواية أخرى أن الوفد وصل المدينة وقد توفي أبو بكر، فاستجاب خليفته عمر لأهل دبا وأمر برد السبي. وينهي السالمي روايته بقوله: «هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية، وهم أعرف بحالهم، وبما عليه أوائلهم، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير في كامله»[2].

وواضح أن السالمي لم يطلع إلا على رواية ابن الأثير في الكامل، ويكتفي بعد هذا النفي بذكرها، ونحن لم نذكرها لأنها منقولة عن رواية

(١) يتضح هذا مما سبق ذكره من إرسال جيفر مبعوثين إلى مهرة والشحر ودبا يدعو أهلها إلى الإسلام فاستجابوا لدعوته، مما يوحي بتبعية هذه الجهات لعمان في ذلك ا لوقت (انظر: الازكوي، المرجع السابق، ص ٩٨)، كما ينسب الحميري الشحر إلى عمان فيقول «شحر عمان» (انظر: الروض، ص ٣٨٨).

(٢) السالمي، تحفة، ص ٥٠، انظر تفاصيل رواية السالمي، ص ٤٨ – ٥٠.

الطبري التى سبق أن ذكرناها، وبعد أن ينتهى السالمي من رواية ابن الأثير يقول: «انتهى كلام ابن الأثير وكله باطل لا أصل له»[1].

ولو نظرنا لهذه الأحداث مجتمعة حسب الروايات السابقة، نظرة محايدة، فإنه من المؤكد أن تمردا أو ردة قد حدثت في دبا بعد وفاة الرسول ﷺ وكان يقود هذا التمرد شخصية لها وزنها بين القبائل في بلدته وهو ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ومن المحتمل أنه كان من أسرة الجلندي، فابن حزم يشير إلى أنه أحد أبناء جيفر بن الجلندي»[2]، ويبدو أن لقيطا كانت له طموحات سياسية ورأي في رفض دفع الزكاة وادعائه النبوة ما يجعل بعض القبائل تعضده وتؤيده ضد الأخوين عبد وجيفر مما يمكنه من إقصائهم والسيطرة على عمان، لذلك كان من الطبيعى أن يتصدى عبد وجيفر لهذا الخطر ويدافعا عن ملكهما.

ويحاول أحد الباحثين أن يبرر ثورة أهل دبا بسبب «أن يدهم لم تكن مطلقة في إستغلال الأرض التي تركها الفرس، بل إن عاملا جاء من المدينة ليضمن ألا يفعلوا ذلك، ثم تبين لهم أيضاً أن عليهم أن يدفعوا ضرائب يجبيها في أوقاتها مضمنون يعينهم العامل»[3] ونحن لا نعلم من أين استقى الباحث هذه المعلومات الخطيرة عن الأرض التي منع أهلها من استغلالها، فهذا تخريج بعيد تماماً عن سياسة المسلمين حتى مع أهل البلاد التي فتحت عنوة فلا يمنع أهلها من استغلالها، أما عن الضرائب التي يذكرها فلعله يقصد

(١) السالمي، تحفة، ص ٥١،
(٢) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٤.
(٣) انظر: ولكنسن، المرجع السابق، ص ١٤.

Scanned by CamScanner

الزكاة لأن المسلمين لم يفرضوا ضرائب في ذلك الوقت، وكانت التعليمات أن يأخذ عامل الرسول ﷺ الصدقات من أغنياء دبا ويردها على فقرائهم(١).

وتجدر الملاحظة بأن المؤرخين الذين ذكروا حادثة الردة في دبا على أنها «ردة عمان» قد وقعوا في مبالغة لا أساس لها من الصحة، لأن الردة لم تقع في كل عمان كما حددها الجغرافيون في ذلك الوقت. كما أن هذه الردة لم يقم بها حاكمي عمان المعترف بهما من جانب الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق وأقصد بهما «عبد وجيفر» بل جاءت من جانب شخص لم تذكره المصادر إلا مقترناً بهذه الحادثة، ويطلق عليه البعض «ذو التاج»(٢) ويبدو أنه قد اتخذ لنفسه تاجاً متشبهاً بالملوك، وهذا ليس من حقه مما جعل المؤرخين يلقبونه بهذا اللقب، فهو شخص مدع للنبوة ومدع لحقه في السلطة في نفس الوقت.

أما الموقف الرسمي لملكي عمان عبد وجيفر فكان معارضاً لهذا التمرد لتمسكهما بالإسلام من جهة، ولأنها حركة موجهة ضد نفوذهما من جهة أخرى، لذلك تصديا بما تحت أيديهما من جيوش لهذه الحركة منذ البداية، ودخلا في معارك عنيفة مع قوات لقيط بن مالك، ولكنهما لم يصمدا أمام الحشود التي حشدها لقيط مما اضطرهما إلى التراجع إلى حين كما جاء في نص الطبري «غلب لقيط بن مالك على عمان مرتدا، وألجأ جيفرا وعبادا إلى الأجبال والبحر»(٣).

(١) انظر: طبقات ابن سعد، م ٥، قسم ٢، ص ٣٨٥، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣١، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

ولما كانت هذه الحركة ليست حرباً قبلية فلم تلجأ السلطة الشرعية في عُمان لمساندة القبائل المحيطة بها، بل هي حركة ذات طابع ديني سياسي، ولما كانت عُمان بإعلانها الإسلام بعد تلقيها رسالة الرسول ﷺ، وبتأييدها للخليفة الأول أبي بكر الصديق عن طريق الوفد الذي صاحب عمرو ابن العاص إلى المدينة، قد أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية الناشئة تؤيدها وتساندها، وعلى الدولة الإسلامية أيضاً أن تمنع عنها الخطر الذي يهدد وحدتها وإسلامها، لذلك كان من المنطقي أن تلجأ السلطة الشرعية في عمان ممثلة في الأخوين عبد وجيفر إلى عاصمة الخلافة الإسلامية، تستنجد بأبي بكر للمساعدة في القضاء على حركة التمرد على الإسلام ولتحقيق سلطاتهم ونفوذهم على عُمان.

وتتضح المكانة التي كانت تتمتع بها السلطة الشرعية في عُمان لدى الخلافة الإسلامية من الأوامر الصريحة التي زود بها أبو بكر الصديق الجيوش المتوجهة إلى عُمان لمساعدتها ضد أعدائها وأعداء الإسلام، فكان على هذه الجيوش إذا اقتربت من عُمان أن يكاتبا عبدا وجيفرا، وأن يعملا برأيهما(١) وهذه الأوامر في اعتقادي لها دلالات أخرى مهمة، فبالإضافة إلى الثقة في السلطة الشرعية في عُمان فإنها تعني أن القيادة على أرض عُمان كانت للأخوين عبد وجيفر فهم أكثر دراية بظروف بلادهما الطبيعية ومسالكها وأكثر معرفة بالتيارات القبلية التي يمكن أن تؤثر سلباً وإيجاباً على سير المعركة، لذلك لما اجتمعت الجيوش الإسلامية في صحار مع الجيش العُماني، جرت مشاورات مع القبائل بهدف كسب تأييدها وحتى لا يطعن الجيش عند توجهه إلى دبا في الظهر، وأعتقد أن الأقدر على إدارة هذه المرحلة من

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

Scanned by CamScanner

التفاوض القبلى هما الأخوين عبد وجيفر ولم يكتفيا بذلك، بل حدثت اتصالات مع عناصر قبلية مؤيدة للثورة وتعمل مع لقيط بن مالك ونجحت المفاوضات معها حسب رواية الطبري في الاتفاق على أن ينسحب بعضها من تأئيده للقيط بعد مكاتبات جرت بين الجانبين(١).

وأعتقد أن تأييد القبائل للجيش الإسلامي عندما كاد لقيط أن ينتصر في بداية المعركة في دبا لم يكن تأييداً عفوياً، بل كان أمراً متفقاً عليه نتيجة للاتصالات التي سبقت الإشارة إليها فأيدت القبائل العربية من بني ناجية والأزد وعبد القيس وغيرها الجيوش الإسلامية وتصدت لقوات لقيط الذي انتهى الأمر بهزيمته لتخرج عناصر من هذه القبائل بعد ذلك مع عكرمة بن أبي جهل لتواصل معارك القضاء على الردة في مناطق مهرة والشحر.

ومما تقدم يمكن القول أن ما حدث لا يمكن أن نطلق عليه «ردة عُمان» أو «ردة أهل عُمان» وبهذا نتفق مع المؤرخين العُمانيين لنفيهم لهذه الردة بوجه عام، ولكننا لا ننفي الأحداث التي وقعت في دبا وغيرها سواء كان هذا بسبب امرأة استغاثت بقومها أم بسبب تمرداً قاده لقيط بن مالك، لأنه لا يمكننا أن نرفض كل ما تذكره المصادر التاريخية في حادثة بعينها، أو نختار منها ما يوافق هوانا ونترك ما دون ذلك؛ لأن ذلك يتعارض ومنهج البحث العلمي في كتابة التاريخ.

وإذا كان لبعض المؤرخين العُمانيين عذرهم عندما ينفون وصم بلادهم بالردة عن الإسلام دفاعاً عن حسن إسلامهم وصدق عقيدتهم على مر العصور، فإنه من الغريب أن ينساق البعض في تأييد ذلك بطريقة متناقضة تؤدي إلى الشك أكثر مما تدعو إلى الحقيقة العلمية، ومثال ذلك ما ذكرته

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٥.

أحد المراجع من قولها «والحق أننا لم نسمع عن حركة ردة فى عُمان!! اللهم إلا حركة ذكرها البلاذري في فتوح البلدان والطبري في تاريخه ومن أخذ عنهما من المؤرخين مثل ابن الأثير في الكامل»(١).

فمتى كانت الحقائق التاريخية تعرف بالسمع؟، وكيف يأتي بعد النفي القاطع عن عدم وجود ردة في عُمان تأكيد مناقض تماماً بذكر بعض المصادر الأساسية في التاريخ الإسلامي التي ذكرت أحداث الردة؟ والواقع أننا بهذا نثير الشك حول ما جاء في مصادر تاريخنا الإسلامى.

** ** **

عُمان وحركة الفتوحات الإسلامية:

ظلت عُمان على علاقة طيبة بالخلافة الراشدة منذ وفاة الرسول ﷺ ووصول عمرو بن العاص مع الوفد العُماني إلى المدينة وقد أفاضت المصادر العُمانية في ذكر الحفاوة التي استقبل بها الوفد العُماني من جانب الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وما قام به خطباء المسلمين من الثناء على عُمان وأهلها لإسلامهم طوعاً واستجابتهم إلى دعوة الإسلام دون مشقة وتعاونهم مع عمرو بن العاص(٢) كما يقال أن أبا بكر أسند إلى عبد بن الجلندي لما قدم عليه من عُمان قيادة سرية إلى آل جفنة من عرب الشام لمقاتلتهم، وقد شارك في هذه السرية عدد من الصحابة منهم حسان بن ثابت الأنصاري الذي أشاد – بعد عودة السرية – بشجاعة عبد وحزمه وحسن رأيه في المواقف الصعبة(٣).

(١) انظر: سيدة كاشف، عُمان في فجر الإسلام، عُمان ١٩٨٩، ص ٣٥.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٣، ٤٤،
(٣) نفسه، ص ٤٤.

Scanned by CamScanner

وشارك العُمانيون كما أسلفنا في القضاء على ردة دبا، وكانوا مع عكرمة عند تحركه من عُمان للقضاء على حركات التمرد في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، أما المشاركة المؤثرة في الفتوحات فإنها تأتي في بداية حركة المسلمين في اتجاه الشام لضرب قوة الروم في المناطق المتاخمة لنفوذ الدولة الإسلامية والحركة غرباً للقضاء على نفوذهم في الشام كله، ويأتي ذكر عمان وأهلها كعنصر مشارك في هذه الحملات منذ سنة ١٣هـ/٦٣٤م في حياة أبي بكر الصديق، وكان عدد من القبائل العمانية التي تعاونت مع عكرمة في حروب الردة قد رجع معه إلى المدينة، فيروي الطبري «وقد قدم على أبي بكر عكرمة قاتلا وغازيا؟؟، فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو، فكتب أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسمي هذا الجيش جيش البدال «فقدموا على خالد ابن سعيد الذي كان يواجه جيوش الروم في الشام[1].

أما في الجبهة الفارسية فيبدو أن العرب في حروبهم ضد دولة الفرس لم يكتفوا بالهجوم البري فقط، بل استخدموا القوة البحرية التي أتاحتها لهم دخول عناصر من السكان في كنف الإسلام في الأقاليم المجاورة لفارس مثل عمان والبحرين ومشاركتهم في الحروب الإسلامية ضد الفرس، وهذه العناصر كان لها تاريخ عريق في فن الملاحة وركوب البحر، ولذلك نلاحظ أن النشاط البحري في الجبهة الشرقية كان متقدماً بسنوات عن مثيله في جبهة الشام ومصر. وليس معنى هذا أن العناصر الشامية والمصرية كانت أقل دراية بركوب البحر من سكان الشاطئ الغربي للخليج، ولكن دور البحرية في منطقة الخليج في ذلك الوقت كان لنقل الجيوش من المناطق التي

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ، ص ٣٨٩.

يسيطر عليها المسلمون إلى الجزر في الخليج أو إلى الساحل الشرقي، ولم يكن مثل هذا الدور متاحاً في بداية حركة الفتوحات الإسلامية في الشام بسبب التفوق الساحق للبحرية الرومية وسيطرتها على حوض البحر المتوسط أنذاك.

وكيفما كان الأمر، فإن المصادر التاريخية تحدثنا عن محاولات جريئة حدثت في عهد عمر بن الخطاب كان الهدف منها ضرب جزر في الخليج وإزاحة الفرس عن مواقعهم على ا لسواحل الشرقية التي كانت نقط ارتكاز قوية كمراكز حربية وتجارية، فيشير ابن سعد إلى حملة بحرية بعث بها العلاء ابن الحضرمي من البحرين بقيادة عرفجة بن هرثمة سنة ١٤هـ/٦٣٥م، وكان هدفها ضرب السواحل الفارسية «فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسجداً»[1].

وفي سنة ١٥هـ/٦٣٦م ولى عمر بن الخطاب، عثمان بن أبي العاص الثقفي على عمان والبحرين[2]، ومن المحتمل أن الخليفة قد رمى من وراء جمع ولايتي عمان والبحرين لعثمان إلى تحقيق أهداف عسكرية تساعد في حركة الفتوحات الإسلامية في هذه الجبهة، فالإقليمين يكمل كل منهما الآخر ويحتاج إلى قيادة واحدة للتصدي للخطر الفارسي والاستمرار في حركة الهجوم النشطة ضد الفرس، وبدأ عثمان بن أبي العاص ولايته بأن وفد بنفسه إلى عمان ليحل محل واليها السابق من قبل عمر، وهو رجل من الأنصار يدعى «بلال» وأسند إدارة البحرين إلى أخيه الحكم ابن أبي العاص[3] وتمكن

(١) انظر: طبقات ابن سعد، م ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٨.
(٢) البلاذري، فتوح، ج ١، ص ١٥٤.
(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ١٠٤ ، ١٢٨.

Scanned by CamScanner

عثمان من تقوية نفوذه فى عمان والبحرين بالتعاون مع القبائل المحلية من الأزد وراسب وناجية وعبد القيس[1] الذين حسن إسلامهم وانخرطوا في جيش الخلافة، وتمكن عثمان من أن يوحد بين عمان والبحرين في هذه المرحلة، وحسب رواية البلاذري فقد «اتسقت له طاعة أهلهما»[2].

ويبدو أن الفرس كانوا قد قاموا بتحركات عسكرية في جزر الخليج وعلى شاطئه وربما قد لجأ إلى هذه المناطق فلول المهزومين في موقعة جلولاء سنة ١٦هـ/٦٣٧م[3]، مما أثار مخاوف الخليفة عمر بن الخطاب، فأرسل إلى واليه على عمان بأن يوجه حملة عبر الخليج إلى فارس، ولما بدأ عثمان في إعداد الحملة، طلب من أهل عمان المشورة لخبرتهم في فن الملاحة وركوب البحر، فدلوه على أبي صفرة كأحد الثقاة في هذا المجال، وندب عثمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل أكثرهم من أزد عمان، وكان من بين رجاله أبو صفرة، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه الحملة من هزيمة الفرس واستولى على جزيرة ابن كاوان (البحرين حالياً)[4] وقد أسند قيادة هذه الحملة لأخيه الحكم بن أبي العاص، فيروي البلاذري أن عثمان «وجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية، ففتح جزيرة ابن كاوان ثم صار إلى توج»[5]، وقد قتل في المعركة حول جزيرة ابن كاوان حاكم كرمان مما أثار الرعب في

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٧.
(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٧٦.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤ وما بعدها.
(٤) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٧.
(٥) البلاذري، فتوح، ص ٤٧٦، قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧، وتوج مدينة بفارس قريبة من كارزون شديدة الحر لأنها غور من الأرض بها نخل (مراصد الاطلاع، ج ١، ص٢٨٠).

الإقليم، فتمكن المسلمون من الاستيلاء على كرمان في هذه السنة (١٦هـ)[1].

وتشير المصادر إلى أن عثمان بن أبي العاص قد اتخذ من توج قاعدة لقواته وبدأ يغير منها على المناطق المتاخمة فاستولى على مدينة أرجان[2] الغنية بخيراتها، وبنى بتوج المساجد وجعلها دارا للمسلمين، وأسكنها القبائل المشاركة معه في القتال ومعظمهم من أهل عُمان من الأزد وعبد القيس[3] وغيرهما.

وتمكن عثمان بعد هذا من التصدي للقوات الفارسية من قاعدة توج، واستمر في ذلك حتى أخضع الإقليم لسيطرته، بعد أن هزم القائد الفارسي «شهرك» الذى تصفه المصادر بأنه «مرزبان فارس» وذلك سنة ٢١هـ/٦٤١م، فقتل شهرك وابنه في المعركة بينه وبين المسلمين بالقرب من توج، «وكان يومها في صعوبته كيوم القادسية، وكتب إلى عمر بالفتح»[4] وشاركت القبائل العمانية في هذه الفترة في الحملات التي تنسبها المصادر إلى والي عمان عثمان بن أبي العاص على بلاد الهند ففي إشارة موجزة يروي ابن حزم أن عثمان بن أبي العاص الثقفي غزا بلاد فارس «وثلاثة من بلاد الهند»[5] ويفسر البلاذري ذلك فيقول: «ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة خمس عشرة، فوجه أخاه الحكم إلى

(١) انظر: البلاذري، فتوح، ص ٤٨٢، العوتبي، الأنساب، ص ١٢٢ – ١٢٣.
(٢) أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وهى برية بحرية سهلية جبلية، بينها وبين البحر مرحلة، وهى من كور فارس (مراصد، ج ١، ص ٥٢).
(٣) كانت أعداد كبيرة من قبيلة عبد القيس يسكنون عمان وكان تمركزهم في هذه المرحلة في عمان والبحرين (انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة ١٩٨٥، ج ١، ص ٩٦).
(٤) انظر: قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧، قارن: ابن قتيبية، المعارف، ص ٢٦٩).
(٥) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٦.

Scanned by CamScanner

البحرين وعمان سنة خمسة عشرة، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فأقطع جيشاً إلى تانة[1] .. ووجه الحكم أيضاً إلى بروص[2]، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل[3]، فلقي العدو فظفر[4] وتلك هي المناطق الثلاث التي تقع في الهند حسب رواية ابن حزم والتي وصلت إليها الجيوش الإسلامية بمشاركة أهل عمان في ذلك الحين.

ومما سبق يتضح أن أهل عمان قد شاركوا في عصر الخلافة الراشدة في حركة الفتوحات الإسلامية وخاصة في الجبهة الشرقية، وكانت مشاركتهم البحرية في منطقة الخليج أمراً حتمياً في ذلك الوقت لنقل الجيوش المحاربة عبر الخليج ولإحكام السيطرة على الجزر والممرات البحرية فيه، ولما كان المسلمون بوجه عام في بداية حركة الفتوح، لم يكن لهم أسطول يمكن الاعتماد عليه للمشاركة في خدمة تحركات الجيوش، فإني أعتقد أن سكان الخليج الذين انضموا إلى جيش المسلمين قد ساهموا بفعالية بما يملكونه من سفن وبما لديهم من خبرة بحرية في المساعدة في السيطرة على جزر الخليج ونقل القوات الإسلامية إلى شواطئه الفارسية، بالإضافة إلى مشاركتهم الفعالة في الحروب البرية.

وهناك اختلاف بين المصادر حول أسماء الولاة على عمان في عصر الخلافة الراشدة، فيشير اليعقوبي إلى أنه كان على عمان عندما توفي

(١) تانة أو تهانة: عاصمة ولاية مهار شترا حالياً وهي على بعد ٣٠ ميلاً من بومباي، (انظر: القاضي أطهر، المرجع السابق، ص ١٣٢).
(٢) بروج أو بروص من أشهر مدن الهند البحرية، وهي مديرية في ولاية كجرات قريبة من مدينة أحمد أباد (القاضي أطهر، المرجع السابق، ص ١٣١).
(٣) خور الديبل: مدينة على ساحل بحر الهند (البلاذري، فتوح، ص ٧٢٠).
(٤) انظر: البلاذري، المصدر السابق، ص ٥٣٠.

الرسول ﷺ عبد وجيفر ابني الجلندي ،وقال بعضهم عمرو ابن العاس،[1]. مما يوحي بأن ملكي عمان كانا يمارسان سلطاتهما بحسب وعد الرسول ﷺ لهما في رسالته في حالة إقرارهما بالإسلام كما أشرنا[2]، ويأتي اسم حذيفة بن محصن الغلفاني كوال على عمان في عهد أبي بكر ا لصديق[3] وقد أشرنا إليه كأحد المشاركين في القضاء على الردة في دبا، ثم أسندت إليه مهمة تسكين الناس وتهدئة الأحوال ويبدو أنه قام بدور عمرو ابن العاص في القيام بمهمة جمع الصدقات مع وجود الأخوين عبد وجيفر على حالهما.

أما في عهد عمر بن الخطاب فقد جاء ذكر رجل من الأنصار يدعى ،بلال، في ر واية لخليفة بن خياط، ولم يأت ذكر له في المصادر الأخرى، ويتبعه ابن خياط بعثمان بن أبي العاص الثقفي الذي تولى عمان والبحرين سنة ١٥هـ/٦٣٦م واستمر حتى وفاة عمر ويتفق في هذا مع معظم المصادر[4]، ولكن من الجدير بالملاحظة أن اليعقوبي يروي أن عامل عمر على عمان حتى وفاته كان أبو هريرة[5] أما الطبري فيذكر حذيفة ابن محصن الغلفاني كوال على عمان من سنة ١٣هـ/٦٣٤م وحتى وفاة عمر بن الخطاب[6]، ثم يعود ليذكر في حوادث سنة ٢٣هـ/٦٣٤م وهي السنة التي قتل فيها الخليفة عمر بن الخطاب أن عامل عمر ،على البحرين وما والاهما

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٦.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ٩١، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٨.
(٤) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ١٠٤، ١٢٨، البلاذري، فتوح، ج ١، ص ١٥٤، قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧.
(٥) انظر: تاريخ اليعقوبي، ص ٢، ص ١٦١.
(٦) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٧٩، ٦٢٣، ج ٤، ص ٣٩.

Scanned by CamScanner

عثمان ابن أبي العاص الثقفي،[1] وكلمة ما والاهما توحي بأن هناك كلمة ساقطة وهي «عمان» وبهذا يتفق الطبري مع معظم المصادر التي سبقت الإشارة إليها والتي تؤكد أن عثمان بن أبي العاص تولى عمان والبحرين سنة ١٥هـ/٦٣٦م أما عن رواية اليعقوبي عن أبي هريرة كوال على عمان، فلعل الأمر اختلط عليه لأن أبا هريرة كان والياً على البصرة في عهد عمر بن الخطاب[2] وكانت البصرة في ذلك الوقت بها أعداد كبيرة من الأزد العمانيين الذين كانوا على صلة وثيقة ومستمرة بوطنهم الأصلي عمان وكان هناك تعاون مشترك بين أبي موسى الأشعري وبين عثمان بن أبي العاص خلال حركة الفتوحات في اتجاه فارس، مما دفع اليعقوبي إلى الظن بولاية أبي موسى على عمان، فيروي البلاذري أن الخليفة عمر، كتب «إلى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة يأمره بأن يكاتف عثمان بن أبي العاص الثقفي ويعاونه، فكان يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها»[3] واستمر أبو هريرة على البصرة حتى عزل عنها في عهد عثمان سنة ٢٩هـ/٦٤٩م بعبد الله بن عامر، ومما يؤكد هذا الارتباط ما رواه الطبري «فقدم ابن عامر (البصرة) فجمع له جند أبي موسى الأشعرى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان فيمن عبر من عمان والبحرين»[4].

وتصمت المصادر العامة عن ذكر عمال عُمان من قبل الخليفتين عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) وعلي بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)، ولكن الروايات العمانية تذكر أنه بعد وفاة

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤١، انظر: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ١٦٧.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤١.
(٣) انظر: البلاذري، فتوح، ج ٢، ص ٤٧٧، ٤٧٨.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٦.

عبد وجيفر ابنى الجلندي، خلفهما على عمان عباد بن عبد بن الجلندي في زمن عثمان وعلي[1]، ورغم ذلك فهناك بعض الإشارات التي يفهم منها أن علي بن أبي طالب قد عين ولاة على عمان، وأنه كانت تربطه علاقات قوية بقبائل الأزد العمانية المقيمة في البصرة والتي كانت منقسمة على نفسها بين التأييد والمعارضة لسياسته، فقد التقى أبو صفرة الأزدي العماني بالخليفة علي ابن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م) في البصرة، ودار بينهما حوار أورده «العوتبي» يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيم الأزد في البصرة في ذلك الوقت، وأن عليا شكى له من موقف بعض العناصر الأزدية المعارضة له، فكان رد أبي صفرة «والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان»[2].

ويبدو أن العلاقات قد ساءت بين عمان وعلي بن أبي طالب بعد ذلك، وخاصة في أعقاب التحكيم وما أسفر عنه من نتائج. فيروي اليعقوبي في أحداث سنة ٣٨هـ/٦٥٨م أن عليا قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وكان الخريت بن راشد وأصحابه الذين ثاروا على علي بن أبي طالب بالكوفة قد فروا إلى عمان، فأرسل علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي إلى عمان الذى تمكن من القضاء على الخريت بن راشد وقتله[3] بعد معارك عنيفة يروي تفاصيلها الطبري[4]. وهكذا

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠، قارن: ج. س. ولكنسن، بنو الجلندي في عُمان، ص ١٥ - ١٦.
(٢) انظر: العوتبي، الأنساب، ص ١٢٥.
(٣) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٤.
(٤) انظر تفاصيل ثورة الخريت بن راشد بن ناجية ضد علي بن أبي طالب (تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١١٣ - ١٣٢)، ولا يذكر الطبري في روايته عمان بالنص مثل اليعقوبي، ولكنه يذكر أن معقل بن قيس الرياحي قائد جيش علي بن أبي طالب التقى بالخريت «بالأسياف» وهى تعني الشواطئ، ومن المرجح أنها شواطئ عمان كما ذكر اليعقوبي.

Scanned by CamScanner

كان انتقام بني ناجية من علي بن أبي طالب بقتل العامل الذي أرسله إعلانا عن العصيان ورفض سياسته بعد التحكيم.

ومن الجدير بالملاحظة أن الخريت بن راشد كان من زعماء بني ناجية العمانيين وقد ساهم في حروب الردة ضد لقيط بن مالك في دبا وعاون الجيوش الإسلامية عندما كانوا على وشك الهزيمة[1] وكان الخريت، وقومه من بني ناجية، من أنصار علي بن أبي طالب وقد انضم إلى صفوفه يوم الجمل وشهد معه صفين والنهروان[2] وقد أعلن الخريت مفارقته لعلي سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، ولما سأله علي عن السبب قال «لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جد الجد»[3].

وهكذا نلاحظ مما سبق أن هناك عناصر قبلية من الأزد وبني ناجية في عمان كانت تعارض سياسة علي بن أبي طالب منذ موقعة الجمل وبعد التحكيم، ولعل هذه القبائل التي حسن إسلامها وظلت على فطرتها ونقائها لم تقتنع بالقتال الذي نشب بين الصحابة وبعضهم من المبشرين بالجنة، في موقعة الجمل، مما أدى إلى مصرع بعضهم، كما استاءت أيضاً لما حدث في صفين من خداع استخدم فيه كتاب الله العزيز، وما تبع هذا من الاتفاق بين الفرقاء على التحكيم وما أعقبه من خروج عناصر من أصحاب علي عليه ومفارقتهم له، وقتل معظمهم في النهروان (٣٨هـ/٦٥٨م)، فكانت ثورة الخريت بن راشد العنيفة ضد علي بن أبي طالب لها جذورها في عُمان، فعند الخطر لجأ الخريت إلى قومه ليحتمي بهم، ولكن جيش علي طارده حتى قضى عليه[4]،

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٥.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١١٣.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١١٤.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٢١.

فكان ن الطبيعى أن ينتقم قومه من بني ناجية ويقتلون عامل علي بن أبي طالب الذى أرسله بعد ذلك وهو الحلو بن عوف الأزدي[1]، ومن المحتمل أن هذه المواقف توحي بأن القبائل في هذه المنطقة قد بدأ يتبلور لديها ورأي مستقل في نظام الخلافة الإسلامية ينادي بعودة الشورى[1] كما كان الوضع في عهدها الأول لأنه يتفق مع طبيعتهم القبلية.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٤.
(٢) علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، (القاهرة ١٩٥٩)، ص ٥٨.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

عُمان والدولة الأموية

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

عُمان والدولة الأموية

يكتنف تاريخ عُمان في بداية العصر الأموي وحتى ولاية الحجاج على العراق (٧٥هـ/٦٩٤م) كثيراً من الغموض، بل تكاد المصادر تصمت تماماً عن تناول هذه الفترة، مما شجع بعض المؤرخين المحدثين إلى إطلاق العنان لخيالهم وتأويلاتهم والتى غالباً ما جانبها الصواب لعدم اعتمادها على وثائق تؤيد ما يذهبون إليه. وحتى الرواية العُمانية لا تذكر هذه الفترة إلا في عبارة موجزة جاءت في عدة أسطر، فيقال «أنه لم يكن لمعاوية ولا لمن بعده سلطان في عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق، وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندي»(١).

ولعل هذه العبارة للسالمي هي التي دفعت أحد المؤرخين إلى القول بأن العُمانيين قد رفضوا «الاعتراف بخلافة معاوية، وأكدوا استقلالهم، فلم يرسلوا الزكاة إلى بيت المال .. ومن ناحية أخرى فإن معاوية هو الآخر لم يتمكن من فرض سلطته على عُمان»(٢).

ولا أدري من أين استقى صاحب العبارة معلوماته التي أوردها في السطرين السابقين، والتي يفهم منهما أن عصياناً جرى في عُمان في عهد معاوية أدى إلى عدم الاعتراف بخلافته ومنعت عن بيت المال أموال الزكاة، وبالتالي فإن معاوية قد ضعف عن فرض نفوذه على عُمان فاستكان للأمر الواقع، وفي رأينا أن هذه تخريجات يجانبها الصواب ولا تستند إلى دليل، فالدولة الأموية في عهد معاوية كانت من القوة بحيث تستطيع أن تسيطر على

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥١.

(٢) انظر: محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عُمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول، ص ٤، (سلسلة تراثنا، عمان ١٩٨٤).

Scanned by CamScanner

عُمان في أي وقت تشاء، ولن أذكر تفاصيل ما كانت عليه قوة الدولة الأموية في ذلك الوقت ونشاط حركة الفتوحات في المشرق[1] حيث وصلت الجيوش الأموية إلى نهر جيحون وعبره المسلمون ليهاجموا بخارى وسمرقند، كما وصلت قوات المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى المغرب الأدنى حيث أسس هناك مدينة القيروان سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م[2].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد تمكن المسلمون في عهد معاوية من فرض سيطرتهم على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وهددوا بأساطيلهم القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية أكثر من مرة[3]، فهل هذه القوة العسكرية الكبيرة في المجالين البري والبحري كانت عاجزة عن الاستيلاء على عُمان في ذلك الوقت؟.

وأعتقد أن ا لتعرض لتاريخ عُمان في هذه الفترة يحتاج إلى نظرة شاملة على الأحداث في العالم الإسلامي بوجه عام وعلى إقليم العراق والبصرة على وجه الخصوص، فقد قسم معاوية الدولة الأموية إلى أقسام إدارية وكانت ولاية البصرة تشمل خراسان وسجستان والبحرين وعمان، فيروي الطبري في حوادث سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ،استعمل معاوية زيادا على البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان،[4]، وكان زياد بن أبي سفيان أو ابن أبيه شديد الوطأة على الناس عنيفا في إدارة الولايات التي أسندت إليه، ورغم ذلك لم يرد في المصادر التي بين أيدينا ما يفيد حدوث أي اشتباك

(١) انظر تفاصيل حركة الفتوحات في عهد معاوية على سبيل المثال في النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٥ وما بعدها.
(٢) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، نشر كولان وبرفنسال، ليدن ١٩٤٨، ج ١، ص ٢٣٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٩٣، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٧١.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢١٧، انظر أيضاً: علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص٨٠.

أو اتصال على أي مستوى بين زياد بن أبيه وعمان حتى وفاته سنة ٥٣هـ/٦٧٢م[1] ولا في عهد ابنه عبيد الله بن زياد الذي أسندت إليه ولايات أبيه بعد فترة من وفاته سنة ٥٥هـ/٦٧٤م والذي كان لا يقل عنفاً عنه، واستمر على هذه الولايات حتى وفاة معاوية سنة ٦٠هـ/٦٧٩م[2].

ومن المرجح أن سبب بعد عُمان عن مشاكل الدولة الأموية في هذه الفترة أن آل الجلندي الذين كانوا يحكمون عمان في ذلك الوقت وهم عباد ابن عبد بن الجلندي وكان يساعده ابناه سعيد وسليمان[3]، كانوا يديرون البلاد بما لا يتعارض مع سياسة الدولة الأموية بوجه عام، وبعبارة أخرى، أن عُمان لم يحدث فيها ما يشغل بال الخلافة الأموية ويجعلها تفكر في إرسال حملة أو جيش لإخضاعها، لأن تبرير الصمت عن ذكر شئ في المصادر عن عُمان في هذه الفترة، هو أنها لم تكن طرفاً في أحداث مهمة تستحق أن يسجلها المؤرخون ولكن سنلاحظ أن المصادر سوف تتناول بعد ذلك هجمات النجدات ثم الحجاج على عمان – كما سنوضح فيما بعد.

عُمان والخوارج النجدات[4]:

في بداية عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) نشطت حركات الخوارج بوجه عام، ويهمنا في دراستنا الخوار ج النجدات نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي الذي تمكن من

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٥ ، ص ٢٨٨.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢٩٩، ص ٣٢٣.
(٣) انظر: الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤٠.
(٤) عن الخوارج النجدات انظر: الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أحمد) ت ٥٤٨ هـ، الملل والنحل، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٥ – ٢٨، الرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب ت ٦٠٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٥.

Scanned by CamScanner

الاستيلاء على اليمامة، وتوجه منها للاستيلاء على البحرين سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، واجتمعت قبائل عبد القيس لمحاربته والتصدي لجموعه، ولكن قبائل الأزد كان لها رأي آخر، فقد أعلنوا أن «نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور، وولاتنا تجور، فعزموا على مسالمته»[1]. ورغم هذه المعارضة من جانب قبائل عبد القيس إلا أن نجدة تمكن من الاستيلاء على البحرين، ويبدو أن تأييد العناصر الأزدية له – حسب رواية النويري – قد شجعه على التطلع لضم عمان إلى سلطانه.

ويجدر هنا أن نلاحظ أن الذي تصدى للخوارج النجدات في ذلك الوقت لمنعهم من السيطرة على مزيد من الأقاليم وإزاحتهم عما تحت يدهم منها كانت جيوش عبد الله بن ا لزبير، وليست جيوش الدولة الأموية، فكانت العراق في هذا الوقت قد بايعت عبد ا لله بن الزبير وأصبحت خاضعة له يعين عليها الولاة، فعين أخاه مصعب بن الزبير والياً عليها منذ سنة ٦٧هـ/٦٨٦م[2]، وبالتالي يمكن القول أن عمان كانت تحت إشراف مصعب ابن الزبير بحكم ولايته على العراق والبصرة على وجه الخصوص، لذلك بادر مصعب في سنة ٦٩هـ/٦٨٨م بإرسال جيش قوي يقدر بحوالي عشرين ألف نسمة بقيادة عبد الله بن عمير الليثي الأعور للتصدي لجيش الخوارج النجدات لطردهم من اليمامة والبحرين ووقف أطماعهم في الاستمرار في ضم أقاليم جديدة، ولكن هذا الجيش لقي هزيمة قاسية على يد نجده ورجاله، وغنم الخوارج ما في معسكرهم[3].

(١) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٥.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٠٦، النويري، المصدر ا لسابق، ص ٦٧.
(٣) انظر: النويري، نفسه، ص ٥٦.

وهكذا يتضح أن الثائرين على الدولة الأموية سواء من الخوارج أم من الزبيريين كانوا يحاربون بعضهم بعضاً ولم يكن من الممكن أن يوحدوا جهودهم لاختلاف العقائد والأهداف.

وكان من الطبيعي بعد انتصار النجدات على جيش الزبيريين أن يشعروا بالاطمئنان على نفوذهم ويتطلعوا إلى الاستيلاء على عمان فتروي المصادر أن نجدة أرسل جيشاً إلى عمان بقيادة أحد قواده ويدعى عطية بن الأسود الحنفي الذي تمكن من دخولها وكان يحكمها آنذاك عباد بن عبد بن الجلندي الذي كان شيخاً طاعناً في السن، وكان يساعده ابناه سعيد وسليمان[1] فتصدى العمانيون دون مساعدة خارجية للنجدات، ولكن حلت الهزيمة بالجيش العماني وقتل عباد أثناء القتال واستولى عطية بن الأسود على عمان، وأقام بها عدة أشهر وخرج منها مستخلفا أحد رجاله ويدعى أبو القاسم[2].

ويبدو أن الأخوين سعيد وسليمان اللذين آلت إليهما مهمة حكم عمان بعد موت والدهما قد تمكنا بعد الهزيمة على يد النجدات ومقتل والدهما أن يفرا إلى داخل عمان واحتميا بمن بقي من مؤيديهما في الجبال الوعرة التي تمتاز بها تضاريس عمان لأنه لم يمض وقت طويل حتى داهم العمانيون أبا القاسم الذي استخلفه نجدة وقتلوه وثأروا بذلك من النجدات، وتشير المصادر إلى أن عطية بن الأسود الحنفي لما وصله خبر هذه الهزيمة «عاد إلى عمان فلم يقدر عليها، فركب في البحر وأتى كرمان»[3] مما يوحي – استناداً

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠.
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.
(٣) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.

Scanned by CamScanner

على هذا النص – بأن عطية بن الأسود قد حاول تأديب العمانيين والثأر لمقتل قائده أبي القاسم ولكن العمانيين في هذه المرة كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهته فصدوه عن بلادهم ولم يقدر عليها حسب رواية النويري، فاضطر إلى الانسحاب بسفنه بحراً في الخليج حتى نزل على شاطئه في إقليم كرمان.

وكانت كرمان أيضاً خاضعة لنفوذ عبد الله بن الزبير، وكان يخوض الحرب ضد الخوارج الأزارقة في ذلك الوقت المهلب بن أبي صفرة تحت راية آل الزبير[1] فأرسل المهلب جيشاً لمطاردة عطية بن الأسود الذي هرب من كرمان إلى سجستان، ثم إلى السند، فلحقت به خيول المهلب بقندابيل حيث قتل هناك[2].

وهكذا تمكن العمانيون من القضاء على خطر الخوارج النجدات على بلادهم[3] كما تمكن القائد العماني المهلب بن أبي صفرة من قتل عطية بن الأسود الحنفي، ونلاحظ أنه بالرغم من وجود البحرين حتى ذلك الوقت تحت سيطرة نجدة بن عامر الحنفي، فإنه بعد هزيمة قائده عطية بن الأسود، لم يفكر في إعادة الكرة لغزو عمان مرة أخرى، فمن الواضح أن عمان قد استعصت على هذه العناصر الثائرة من الخوارج ونجحت في صدها، في الوقت الذي فشلت فيه قوات عبد الله بن الزبير في التصدي لها، ورغم ما

(١) راجع التفاصيل، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٥ – ١٢٧.
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.
(٣) يورد ولكنسن «خبرا عن دولة للإباضية قامت تحت حكم نجدة بن عامر الحنفي عام ٦٥هـ وسقطت عام ٧٣هـ، وفيه ما يلقي ضوءاً على أحوال عمان في آخر حكمه» .. ومهما كان المصدر الذي رجع إليه ولكنسن فإن هذا الخطأ والخلط العجيب يدل على ما يقع فيه أمثال هؤلاء الباحثين الأجانب عند تعرضهم لكتابة التاريخ الإسلامي دون فهم للنصوص أو لطبيعة المذاهب وجذور تكوينها. (انظر ك ولكنسن، بنو الجلندي في عمان، ص ١٦).

كان تحت يد نجدة من قوات برية وبحرية تمكنه من محاولة إعادة غزو عمان. إلا أنه لم يجازف بذلك وانتهى الأمر بقتل نجدة بن عامر نتيجة لخلاف بينه وبين أصحابه[1].

واستمرت عمان بعد ذلك لعدة سنوات بعيدة عن الأخطار الخارجية، وكان عبد الملك بن مروان مشغولاً بالقضاء على الفتن والثورات، وقد نجح في سنة ٧١هـ/٦٩٠م في قتل مصعب بن الزبير واستولى على العراق ثم على خراسان في العام التالي، وتخلص من ثورة آل الزبير نهائياً بعد قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[2] وعادت عمان مرة أخرى – ولو نظريا – لتصبح في منطقة نفوذ الدولة الأموية، وكان على البصرة في سنة ٧٣هـ/٦٩٢م بشر بن مروان أخو الخليفة عبد الملك واستمر حتى وفاته سنة ٧٤هـ/٦٩٣م وكان قد استخلف قبيل وفاته خالد بن عبد الله بن خالد الذي ظل والياً على البصرة حتى مجيء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان[3] ومما يدل على استمرار التقسيم الإداري الذي كان معمولاً به منذ عهد معاوية باعتبار أن ولاية العراق والبصرة يتبعها خراسان وسجستان بالإضافة إلى عمان والبحرين، ما ذكره النويري في خبر تولية عبد الملك للحجاج «على العراق دون خراسان وسجستان»[4]، وكان قدوم الحجاج إلى العراق في شهر رمضان سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي والياً على البصرة[5].

(١) انظر التفاصيل، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٧ – ٥٨.
(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٨٠.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٦٩ – ١٩٦.
(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٠٧.
(٥) المصدر السابق، ص ٢١٣.

Scanned by CamScanner

وتصمت المصادر تماماً عن ذكر عُمان في ذلك الوقت رغم تبعيتها للحجاج بن يوسف الذي تولى العراق كما ذكرنا والذي فرض سياسة القبضة الحديدية على هذا الإقليم الذي كان منذ عهد قريب خاضعاً لآل الزبير، وحتى يتيح الفرصة للمهلب بن أبي صفرة أن يواصل صراعه ضد الأزارقة في المشرق[1].

ونلاحظ أن الحجاج كان مشغولاً عن شئون عُمان في الفترة الأولى لولايته على العراق بما صادفه من مشاكل وثورات عنيفة نتيجة لتطبيقه سياسة تتسم بالقسوة والعنف مما أغضب زعماء القبائل وتحدى بعضهم سلطته، ومن الأمثلة على ذلك ثورة أهل البصرة التي اشتعلت في ربيع الآخر سنة ٧٦هـ/٦٩٥م بقيادة عبد الله بن الجارود[1] ويهمنا من أمر هذه الثورة أن عمان كانت ملاذا للفارين من بطش الحجاج، فقد فر إليها بعد هزيمة عبد الله بن الجارود أحد أنصاره وهو عبيد الله بن زياد بن ظبيان الذي لجأ إلى سعيد بن عباد الجلندي، ورغم ذلك فقد كان هناك من أثار مخاوف سعيد بن عباد من ابن ظبيان فانتهى الأمر بقتله[2] إلا أن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن فرار ابن ظبيان إلى عُمان يوحي بعدم سيطرة الحجاج في ذلك الوقت على عمان وأنه ليس له عليها من النفوذ ما يمكن أن يمثل خطراً على ابن ظبيان حتى ذلك التاريخ، ولعل مثل هذه الحادثة جعلت الحجاج يشعر بخطورة وجود إقليم كبير مثل عُمان خارجاً عن سلطانه ونفوذه، وخاصة وأن عُمان تتبعه إدارياً، لذلك بدأ الحجاج محاولاته للسيطرة على عُمان.

(١) تاريخ الطبري، ج ٦ ، ص ٢٠٤، ص ٢٠٧.
(٢) انظر التفاصيل في النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢١٤ – ٢١٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٨.

ومن رواية أوردها خليفة بن خياط، يفهم أن أول والٍ أرسله الحجاج إلى عُمان كان يدعى «موسى بن سنان بن سلمة» يحدد تاريخاً لذلك «سنة كذا وسبعين»[1]، وواضح من النص أن خليفة بن خياط لا يعلم تاريخ وصول هذا الوالي الأموي إلى عُمان، ومن المرجح أنه وفد إليها بعد ثورة عبد الله بن الجارود سنة ٧٦هـ/٦٩٥م. ويبدو أن موسى بن سنان هذا قد جاء إلي عُمان تسانده حملة عسكرية حتى يتمكن من فرض سيطرته عليها، ولم يستمر في عُمان طويلاً لأن الأخوين سعيد وسليمان من آل الجلندي اعتبرا تدخل الحجاج في شئون عُمان اعتداءً على استقلالها، فقاما بالثورة على هذا الوالي وأعادا سيطرتهما على عُمان، ونحن لا نعلم شيئاً عن مصير موسى بن سنان لأن الرواية التي نعتمد عليها في هذا الصدد لا تعطي تفاصيل عن ذلك ولكن النص يقول «ثم غلب عليها (على عُمان) سعيد وسليمان ابنا عباد فبعث الحجاج طفيل بن حصين البهراني[2] فأخرجهما منها»[3] مما يوحي بأن صراعاً عسكرياً قد نشب بين جيش عُمان وبين ولاة الحجاج، وعبارة «فأخرجهما منها» لا تعني أن طفيل بن حصين والي الحجاج قد أخرج سعيد وسليمان من عُمان، ولكن من المرجح أنه قد اضطرهما إلى الاختفاء لفترة عن عاصمة عُمان صحار في ذلك الوقت والاحتماء بالمناطق الداخلية الجبلية انتظاراً لفرصة مواتية لاستعادة نفوذهما مرة أخرى.

(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٣٠٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٠.
(٣) البهراني: منسوب إلى بهران بن عمرو بن الحاف من قضاعة (الهمداني، عجالة، ص ٢٨).

Scanned by CamScanner

ولسبب لا نعلمه كتب الحجاج إلى واليه على عُمان طفيل بن الحصين أن يستخلف عليها ويعود إلى العراق «فاستخلف حاجب بن شيبة فمات بها فغلب عليها ابنا عباد»[1].

وهكذا استمر الصراع بين الجانبين، وعاود الأخوين سعيد وسليمان التخلص من ولاة الحجاج على عمان، مما أشعر الحجاج بالرغبة في إخضاع هذا الإقليم المتمرد، فلم يتوان عن إرسال الوالة والحملات على عُمان رغم إدراكه صعوبة هذه المهمة والمقاومة العنيفة التي تعرض لها ولاته، وإصرار العُمانيين على الاحتفاظ باستقلالهم. فأرسل الحجاج عندما بلغه موت حاجب ابن شيبه والٍ جديد على عمان يدعى – في رواية ابن خياط – «مجاع بن سعر»[2] ثم صرفه عنها[3] ولا نعرف أيضاً السبب في صرف هذا الوالي عن عُمان إلا أنه قد واجهته مصاعب أصبح من الصعب عليه مواجهتها ويبدو أن هذه المرحلة التي تعدد فيها قدوم ولاة الحاج على عُمان والتي لم يحدد لها «ابن خياط» تاريخاً محدداً، قد استغرقت الفترة بين سنتي (٧٦ – ٧٩هـ/ ٦٩٥–٦٩٨م) وكانت خلالها حملات الحجاج تتوالى على عمان دون أن يدرك غرضه منها. ويبدو أن نفوذ الحجاج قد وصل إلى غايته ابتداء من سنة ٧٨هـ/٦٩٧م حيث تروي المصادر أن عبد الملك بن مروان عزل في هذه السنة «أمية بن عبد الله» عن خراسان وسجستان وضمهما إلى أعمال الحجاج[4] وبذلك أصبح يسيطر على الأقاليم الشرقية كاملة والتي تضم البصرة وخراسان وسجستان بالإضافة إلى عُمان والبحرين.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.

(٢) يسميه الأزكوي «جماعة بن شعوه المزني»، انظر: تاريخ عُمان، ص ٤١.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٢٧.

وفي العام التالي (٧٩هـ/٦٩٨م) أرسل الحجاج أكبر حملاته على عُمان بغرض الاستيلاء عليها وإخضاعها، ويكاد ينفرد خليفة بن خياط بذكر هذه الحملة من بين المصادر العامة، فيروي في أحداث سنة ٧٩هـ/٦٩٨م «وفيها ولّى الحجاج محمد بن صعصعة الكلابي البحرين وضم إليه عُمان .. فولى محمد بن صعصعة «عبد الملك بن عبد الله بن أبي رجاء العوذي»[1].. (عُمان)[2] فخرج عليه الريان النكرى[3] بقرية يقال لها طّاب من الخط بالبحرين، وقدم عليهم ميمون الحروري[4] من عُمان، فانهزم عبد الملك، وهرب محمد بن صعصعة، فركب البحر فقدم على الحجاج، وقد كان الحجاج بعث يزيد بن أبي كبشة مدداً لمحمد بن صعصعة، فهرب محمد قبل أن يقدم عليه يزيد بن أبي كبشه»[5].

---

(١) منسوب إلى عوذ بن سرد بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء، بطن من الأزد (انظر: الهمداني، عجالة، ص ٩٥) ولعل الحجاج أراد أن يستغل انتسابه إلى الأزد في تخفيف المعارضة ضده في عمان.

(٢) ساقطة في الأصل وتفهم من سياق النص.

(٣) النكري: لا نجد تفسيراً لهذه الكلمة في هذه الفترة (٧٩هـ) ومن المحتمل أنه اسم نسب كما جاء في لسان العرب أن «بنو نكرة بطن من العرب» (انظر: لسان العرب مادة «نكر») ويجيء ذكر هذه الكلمة بمعنى آخر وهو إنكار إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٧١–٢٠٨) من جانب بعض الإباضية، فأطلق عليهم النكارية، وهذا بعيد عن التاريخ الذي نحن بصدده (انظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص ٤٣ (بيروت ١٩٨٦)، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة، ص ٥٨ (الجزائر ١٩٧٩).

(٤) الحروري، نسبة إلى قرية حروراء بالقرب من الكوفة، وينسب اليها فرقة الحرورية وهي أول من انشق عن علي بن أبي طالب عند رجوعه من صفين إلى الكوفة وانحازوا إلى حروراء. (انظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٥١).

(٥) انظر تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

Scanned by CamScanner

هذا ما رواه ابن خياط، ويمكننا أن نستنتج من هذه الرواية أن الحجاج رغب في هذه المرحلة أن يجمع بين البحرين وعمان في ولاية واحدة ليحكم السيطرة عليهما، وكان قد سبق مثل ذلك على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي – كما ذكرنا – ولكن العناصر الثائرة في البحرين وعمان كانوا له بالمرصاد، ويفهم أن معركة عنيفة قد نشبت بين رجال الحجاج، وبين رجال «الريان النكري» من البحرين تسانده رجال «ميمون الحروري» من عمان مما يدل على أن أهداف الفريقين كانت واحدة، ووجه هؤلاء ضربة عنيفة لجيش الحجاج مما جعل واليه «ابن صعصعة» لا يجد أمامه فرصة للنجاة بنفسه إلا الهرب بحراً إلى العراق، ولم يستطع التريث لانتظار المدد الذي أرسله له الحجاج لإنقاذه من محنته ويذكر ابن خياط رواية أخرى تفيد أن محمد بن صعصعة والي الحجاج قد ذهب إلى عمان فقتل هناك على يدي ابن عباد[1].

وكيفما كان الأمر فالنتيجة في كلتا الحالتين واحدة وهي هزيمة جيوش الحجاج هزيمة مخزية، وعدم مقدرتها على تحقيق أهدافه في السيطرة على عمان ووضعها تحت نفوذه، ويختم ابن خياط رواياته عن هذه المرحلة من الصراع العنيف بين جيوش الحجاج وبين العمانيين بقوله «فبعث الحجاج سورة ابن الحر فقتل ابن عباد، وولاها الحجاج سعيد بن حسان الأسيدي»[2] ولا ندري من يقصد بابن عباد فهما اثنان سعيد وسليمان ولا كيف تم قتله؟، ولكن الرواية العمانية – التي لا تذكر مصادرها – تعطينا بعض التفاصيل التي يمكن أن تملء بعض الثغرات في روايات ابن خياط عن هذه المرحلة من تاريخ عمان.

(١) تاريخ ابن خياط، ص ٣٠٠.
(٢) نفس المصدر والصفحة.

فتشير الرواية العمانية أن عمان ظلت على استقلالها في العصر الأموي، ولم يحدث صدام بين عمان والدولة الأموية إلا بعد تولية الحجاج على العراق، وكان يحكم عمان في ذلك الوقت سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي، وأهم ملاحظة هنا أن هذه الرواية تهمل ذكر تاريخ الأحداث التي ترويها، ولكنها تجمل حملات الحجاج الأولى على عمان والتي ذكرها ابن خياط وحددنا لها الفترة بين سنتي (٧٦هـ/٦٩٥م، ٧٩هـ/٦٩٨م) بأن الحجاج كان يغزو عمان بجيوش عظيمة وكان الأخوان سعيد وسليمان يفضان جموعه ويبيدان عساكره في مواطن كثيرة وكان كلما أخرج إليهما جيشاً هزماه واستوليا على سواده[1]، وهذه عبارات عامة غير محددة بأسماء وأماكن وتواريخ مما يجعل لروايات خليفة بن خياط قيمة كبيرة فيما نحن بصدده.

ولكن التفاصيل المهمة في الرواية العمانية توضح الحملات الكبرى التي أدت في النهاية إلى خضوع عمان لسيطرة الحجاج بن يوسف ورغم عدم ذكر تاريخ لهذه الحملات إلا أنه من المرجح أنها بدأت بعد أن انتهى الحجاج من خطر ثورة محمد بن الأشعث سنة ٨٣هـ/٧٠٢م التي هزت الدولة الأموية، وكادت تطيح بنفوذ الحجاج وتؤدي إلى عزله عن الولايات التي يحكمها واستغرقت ما يقرب من الثلاث سنوات كان الحجاج خلالها يواجه أصعب المعارك ومُني بالعديد من الخسائر[2] ومن تقييم الأداء اتضح أنه بعد أن تخلص من هذا الخطر كان يمكنه أن يحشد جيشاً كبيراً يوجهه إلى عمان لفرض سيطرته عليها. فيروى أنه أخرج إلى عمان «القاسم ابن شعوة المزني

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥١.
(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٣٣.

Scanned by CamScanner

في جمع كثير وجيش جرار،[1] وكانت حملة القاسم تضم عدداً ضخماً من السفن التي حطت على سواحل عُمان، فتصدى لهذه الحملة سليمان بن عباد في حشد من الأزد، وأوقع بجيش الحجاج هزيمة كبيرة، قتل فيها القاسم وكثير من أصحابه وقواده، فلما بلغ ذلك الحجاج غضب لذلك غضباً شديداً جعله يفكر في التخطيط لحملة أخرى يمسح بها عار هذه الهزيمة، فاختار لقيادة هذه الحملة «مجاعة بن شعوة»[2] أخا القاسم مستغلاً عامل التعصب القبلي والرغبة في الثأر، وفي نفس الوقت أمر بألا يشارك في هذه الحملات إلا القبائل القيسية، فجعلها حرباً قبلية بين القيسية واليمنية، ولم يكتف بهذا بل «أقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد»[3] ومعروف أن البصرة كانت بها أعداد كبيرة من الأزد معظمهم من أصل عُماني[4] ويبدو أنهم كانوا يتعاطفون مع أزد عمان ويبلغونهم بأخبار تحركات جيوش الحجاج مما جعل العُمانيون يأخذون حذرهم. وحشد الحجاج لهذه الحملة ما يقدر بأربعين ألف مقاتل، سلك بعضهم الطريق البري، وركب البعض الآخر السفن في طريقهم إلى سواحل عمان، وكان في انتظار الحملة البرية سليمان بن عباد الذي يبدو أنه كمن لها وفاجأها ولم يكن معه سوى ستة آلاف رجل، فأوقع بها الهزيمة وطاردها وهو لا يعلم بأمر الحملة البحرية التي كان يقودها «مجاعة بن شعوة» والتي رست سفنها في منطقة قريبة من جلفار (رأس الخيمة الحالية) وتحركت جيوش مجاعة على ساحل عُمان حتى وصلت مدينة

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤٠.
(٢) قارن: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
(٣) السالمي، تحفة، ص ٥٢، الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤١.
(٤) كان في البصرة في ذلك الوقت حشد من الإباضية بقيادة الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني وكانت الدعوة في دور الكتمان، فوضعهم الحجاج تحت مراقبة شديدة خوفاً من تأثيرهم على الأحداث. (انظر: عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، عمان ١٩٧٨، ص٩٩).

بركاء الساحلية فتصدى لهم عندها سعيد بن عباد وقاتلهم قتالاً عنيفاً حتى حجز بينهم الليل، وأدرك سعيد عدم جدوى المقاومة فانسحب إلى الداخل حتى وصل الجبل الأخضر وهناك وافاه سليمان ليتدبرا أمر القتال ضد القوات الغازية، وكان مجاعة قد حرك سفنه إلى ميناء مسقط القريب نسبياً من مواقعه في بركاء، فدبر سليمان عملية فدائية تمكن فيها من إشعال النار في سفن مجاعة فاحترق منها ما يزيد على خمسين وهربت الباقيات بعيداً عن الشاطئ، مما أشعر مجاعة بالرهبة وتمثل له شبح الهزيمة فخرج من بركاء يريد اللحاق بسفنه فالتقى مع جيش سليمان ببلدة سمائل وهو على هذا الحال ووقعت بين الجانبين معكة عنيفة انتهت بهرب مجاعة بمن بقي معه في السفن منسحباً إلى جلفار[1].

راسل مجاعة الحجاج بعد أن كادت قواته أن تُمنى بالهزيمة طالباً منه المساعدة لاستكمال مهمته الصعبة في عُمان، فسارع الحجاج بإرسال خمسة آلاف فارس عليهم عبد الرحمن بن سليمان وكانت الأزد في البصرة تراقب ما يجري من تحركات عسكرية بعيونها، وقلوبها مع أشقائهم في عُمان، وأرسلت أخبار المدد على عجل إلى الأخوين سعيد وسليمان، فأدرك الأخوان صعوبة التصدي لكل هذه الحشود، فقررا حقناً للدماء أن يغادرا عُمان طوعاً، فغادراها بحراً بما يمكن حمله معهما من الأموال والذراري والأعوان، وقصدا إحدى بلاد الساحل الإفريقي المواجه لعُمان وانتهى أمرهما بالموت هناك[2]، ودخل مجاعة وعبد الرحمن بجيوش الحجاج إلى عُمان دون مقاومة هذه المرة، وكان تصرفهم عنيفاً يتسم بالتشفي والانتقام لما صادفوه من

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٢، الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤١.
(٢) قارن: تاريخ ابن خياط، ص ٣٠٠.

Scanned by CamScanner

مصاعب سابقة فانتقمت الجيوش الأموية من القبائل التي كانت تساند سليمان وسعيد شر انتقام وتعرضت البلاد للنهب والتخريب[1].

وهكذا خضعت عُمان للحكم المباشر من جانب الدولة الأموية ولعل هذه أول مرة منذ دخول الإسلام إلى عُمان، يُفرض على البلاد والياً من خارج عُمان دون رغبة أهلها، فقد ظلت أسرة الجلندي تحكم عُمان منذ أيام الرسول ﷺ حتى فرار سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي.

ونحن لا نعرف تاريخاً محدداً للحَملة الأخيرة التي استولت فيها جيوش الحجاج على عُمان، ولكن من المحتمل أن هذا كان متزامناً مع رغبة الحجاج في القضاء على آل المهلب العُمانيين، فقد شهدت سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أعنف الضربات ضد المهالبة من جانب الحجاج ففيها قبض الحجاج على يزيد بن المهلب وحبسه، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته[2] فأعلنها حرباً قبلية ضد كل من هو أزدي أو عُماني، ومما يؤكد هذا، الولاة الذين عينهم الحجاج على عُمان بعد الاستيلاء عليها، فد كان حريصاً على أن يكونوا من عرب الشمال، فيذكر ابن خياط أسماء ثلاثة ولاة منذ استيلاء الحجاج على عُمان وحتى وفاته هم: سعيد بن حسان الأسيدي[3]، وعبد الرحمن بن سليم الكلبي[4]، ثم عبد الجبار بن سبرة

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٢ – ٥٣، الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤١ – ٤٢.
(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣١٣.
(٣) الأسيدي: نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم .. بن مضر (الهمداني، عجالة، ص ١٤).
(٤) الكلبي: منسوب إلى كليب بطن من بني تميم (نفسه، ص ١٠٨).

المجاشعي[1] وواضح أنهم جميعاً من بني تميم مما يوضح حرص الحجاج على تطبيق سياسته العنيفة في عُمان لإخضاعها لسلطان الدولة الأموية.

كما يقال أن الحجاج قد زج في السجن في ذلك الوقت ببعض زعماء الأزد في البصرة ومنهم شيخ الإباضية الإمام جابر بن زيد، ولم يلبث الحجاج أن أطلق سراحه ونفاه إلى عُمان مما أتاح لجابر الفرصة لنشر تعاليم المذهب في موطنه الأصلي مستغلاً ما يكنّه أهل عُمان من كراهية للدولة الأموية ولممثلها في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، ولسيرة الولاة السيئة في أهل عُمان، وقد ساعد هذا على نشر الدعوة الأباضية بين قطاعات كبيرة من القبائل العُمانية[2] ونحن لا نعلم تاريخاً محدداً لنفي جابر بن زيد إلى عُمان، ولكن هناك احتمال أن يكون ذلك متزامناً مع نكبة المهالبة على يد الحجاج سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، ومن المؤكد أن جابر قد عاد إلى البصرة قبيل وفاته سنة ٩٣هـ/٧١١م[3].

ولا نعرف سبب عودة جابر بن زيد من منفاه في عُمان إلى البصرة ولاسيما أن الحجاج الذي نفاه كان لا يزال مسيطراً على العراق، ولكن يمكن تبرير ذلك بأن الدعوة الإباضية في ذلك الوقت كانت في طور الكتمان، وأن الحجاج عندما نفى جابر إلى عُمان لم يكن بسبب جهوده المذهبية وإلا كان بذلك يتيح له فرصة نادرة لنشر مذهبه بين قومه وعشيرته، ولم يكن

(١) المجاشعي: منسوب إلى مجاشع بن دارم .. بطن من تميم وعامتهم بالقصرة (نفسه، ص١١١)، ويسميه الطبري «الخيار بن أبي سبرة المجاشعي» (انظر: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٣٠٤، وقارن رواية الأغاني، ج ٢١، ص ٣٦١).
(٢) انظر: عوض خليفات، مرجع سابق، ص ١٠٠ – ١٠١.
(٣) خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، ص ٢١٠.

Scanned by CamScanner

الحجاج يعرف حقيقة ما يدعو إليه جابر بن زيد وإلا اتخذ منه موقفاً آخر وهو المعروف بالبطش وسفك الدماء.

وكيفما كان الأمر فإن وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ/٧١٣م، ثم تولية سليمان بن عبد الملك للخلافة في العام التالي (٩٦هـ/٧١٤م) قد وضع حدا لمعاناة الأزد بوجه عام، وأهل عمان على وجه الخصوص، لتبدأ فترة أخرى من الحكم الذاتي في عمان بعيداً عن الاضطهاد وتعصب الولاة من القيسية، وكان سليمان بن عبد الملك بعد تولية الخلافة مباشرة قد أسند ولاية العراق إلى يزيد بن المهلب[1] ثم ضم إليه خراسان في سنة ٩٧هـ/٧١٥م، فولى يزيد أخاه زياد بن المهلب على عمان، فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م[2].

ويرى الدكتور عوض خيفات أن الخليفة سليمان بن عبد الملك، كان على علاقة وثيقة مع المهالبة زعماء الأزد الذين انضموا إلى الحركة الإباضية بأعداد وفيرة إبان إمامة جابر بن زيد الأزدي، ويقول أنه «من المحتمل أن الإباضية لم يلاقوا عنتا خلال فترة سليمان بن عبد الملك الذي عين زعيم الأزد يزيد بن المهلب والياً على العراق وخراسان»[3]. وفي رأينا أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أو من سبقه من الخلفاء الأمويين، ما كانوا يسندون قيادة الجيوش ويولون الولايات الكبيرة لآل المهلب، وهم يعلمون أنهم يعتنقون المذهب الإباضي، أو يتعاطفون معه على الأقل، فكيف يستقيم ذلك

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٤٣.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٥، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٠٦، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٤٨.
(٣) انظر: عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٠٤.

والمذهب الإباضي لا يعترف بالخلافة الأموية، وينادي بمبدأ الشورى في اختيار الخليفة[1] وبالتالي يقر بعدم أحقية الأسرة الأموية في خلافة المسلمين، ولعل المهالبة كانوا يؤيدون الدعوة الإباضية أو يتعاطفون معها، ولكن هذا لم يكن بعلم سليمان بن عبد الملك أو غيره من خلفاء الأمويين، فالإباضية في هذه المرحلة كانوا في طور الكتمان، وكانت معلومات السلطة الحاكمة عنهم قليلة إن لم تكن معدومة[2] وحتى حادثة نفي جابر بن زيد إلى عمان ثم عودته إلى البصرة قبل وفاته سنة ٩٣هـ/٧١١م، فإنها تؤكد ما ذهبنا إليه من جهل الحجاج لحقيقة ما يدعو إليه جابر، ولذلك فإن القول بأن الإباضية لم يلاقوا عنتاً خلال فترة سليمان بن عبد الملك يجانبه الصواب، لأنه كان من الصعب على سليمان أن يحدد معتنقي المذهب الإباضي في ذلك الوقت، ولو كان يعلم مثل هذا الأمر لتغير موقفه تماماً من الإباضية والمهالبة، وسوف يتضح ذلك عند تناولنا لثورات الإباضية في حضرموت واليمن والموقف العنيف الذي اتخذته الدولة الأموية في قضائها على هذه الثورات لأنها كانت تواجه عدواً ظاهراً يمكن معرفة أهدافه ونواياه.

أما ما يقال عن «العلاقات السلمية وأحياناً الودية بين الإباضية والسلطة الحاكمة والتي امتدت خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز»[3] فهي علاقات غير مؤكدة مع دعوة تعمل في الخفاء وتبالغ في السرية[4].

(١) انظر: كتاب السير والجوابات، ج ١، ص ١٦٣.
(٢) اظر التفاصيل: أبو زكرياء يحيي، المصدر السابق، ص ٦.
(٣) عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٠٥.
(٤) انظر تفاصيل الدعوة السرية، المرجع السابق، ص ١٠٦ – ١٠٩.

Scanned by CamScanner

وتشير المصادر إلى تدهور العلاقات بين المهالبة والدولة الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧–٧١٩م) الذي عزل يزيد بن المهلب عن الولايات التي أسندت إليه في عهد سلفه سليمان وقبض عليه وسجنه بحصن حلب[١]، ونتيجة لذلك فإن والي البصرة عدي بن أرطأة الفزاري عزل زياد بن الهلب وولى مانه على عمان «سعيد بن مسعود المزني»[٢]. والظاهر أن ا لوالي الجديد قد أساء السيرة في أهل عُمان، مما دفع أهلها إلى الشكوي للخليفة[٣] الذي استجاب لشكواهم فعزل سعيد بن مسعود، وأرسل على عُمان من قِبله «عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري»[٤] متخطياً بذلك والي البصرة عدي بن أرطأة ليضمن سرعة رفع الظلم عن كاهل العُمانيين، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على البصرة كتاباً لتصحيح الأحوال المعيشية لفقراء عمان الذين أضيروا من سياسة الوالي المعزول، وجاء في كتابه «.. فإني كنت قد كتبت إلى «عمرو بن عبد الله» أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها ومن سقط إليها من أهل ا لبادية، ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل، فكتب إلى أنه سأل عامل قبله عن ذلك الطعام والتمر، فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه، فاردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عُمان من ثمن التمر

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٨ – ٤٩، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٦٣.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٩، ابن حزم، الجمهرة، ص ٢١٢.
(٣) يروي الجاحظ أن الشاعر العماني كعب الأشقري كتب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز أبياناً يشكو فيها عامله على عمان جاء فيها:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما * . عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعوا له حتى تجلد بالسيوب رقاب

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٩.

والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بها، ويصرفه فيها إن شاء الله والسلام»[١].

ويهمنا من هذه الرسالة ما تشير إليه من أن صدقات عُمان لم يكن يحمل منها شيئاً إلى بيت المال في العاصمة، وكان المتبع أن تصرف هذه الصدقات لمستحقيها في داخل عُمان، وأن ما يحدث غير ذلك يكون خروجاً على المألوف يعاد تصحيحه، كما أن عداء عمر بن عبد العزيز لآل المهلب لم يجعله يسيء معاملة أهل عُمان فقد كان بعيداً في سلوكه عن التعصب القبلى أو المذهبي.

ونحن نشك في صحة الرأي الذي يربط بين ثورة يزيد بن المهلب ضد الدولة الأموية (١٠١–١٠٢هـ/٧١٩م – ٧٢٠م) وبين «بروز جماعة متطرفة من بين الإباضية تنادي بوجوب الثورة»[٢].

فالمصادر تؤكد أن يزيد بن المهلب كان في سجن عمر بن عبد العزيز منذ توليه الخلافة سنة ٩٩هـ/٧١٧م بسبب لا علاقة له بالإباضية، بل لأنه طالبه بأموال كان يزيد قد ذكرها في كتاب له إلى سليمان بن عبد الملك قبيل وفاته، فطالبه بها عمر بن عبد العزيز، فلما أنكرها كان مصيره الحبس[٣]، كما تؤكد المصادر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وولي عهده يزيد بن عبد الملك – الذي ستقع في عهده ثورة يزيد بن المهلب – كانا على علاقة سيئة

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٩٤.
(٢) عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١١٠ – ١١١.
(٣) انظر التفاصيل، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٢، الكامل، ج ٥، ص ٤٨ – ٤٩، النويري، نهاية الأرب، ص ٣٥٢، ٣٦٣.

Scanned by CamScanner

به لتكبره وتحديه السافر لأمراء الأسرة الحاكمة[1]. ونلاحظ أنه أثناء أحداث ثورة يزيد بن المهلب لا ترد إشارة واحدة في جميع المصادر تربط بين الإباضية وبين هذه الثورة ولو تلميحاً[2].

وكيفما كان الأمر، فإن عمرو بن عبد الله الأنصاري ظل والياً على عُمان حتى وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ/٧١٩م، وتشير المصادر العُمانية أنه في أعقاب وفاة الخليفة أحضر عمرو بن عبد الله زياد بن المهلب - الذى يبدو أنه كان مايزال مقيماً في عُمان حتى ذلك الوقت - وقال له: «هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها» وسلم له مقاليد الولاية، وترك عمرو ابن عبد الله عمان، وظل زياد بن المهلب والياً على عُمان حتى سقوط الدولة الأموية[3].

---

(١) انظر أمثلة على ذلك: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص ٢٩١، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٢٨-٥٢٩، الكامل، ج ٥، ص ٤٩.

(٢) انظر التفاصيل: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٣٨٦ - ٣٨٨.

(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٣.

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

عُمان بين عهدين: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

عُمان بين عهدين: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

تعرضت الدولة الأموية في نهاية عهدها لانهيار شديد بعد أن تمكنت منها عوامل الهدم التي ترجع جذورها إلى بداية الدولة، ولسنا هنا بصدد التعرض لهذه العوامل التي تسببت في انهيار الدولة الأموية، ولكن يهمنا أن نوجز الظروف التي سادت المشرق الإسلامى بوجه عام وعمان على وجه الخصوص لنعطي صورة واضحة عن قيام الإمامة الإباضية الأولى في عمان.

كما يهمنا من بين العوامل التي سببت انهيار الدولة الأموية عامل «العصبية القبلية» لتأثيره المباشر في توضيح الظروف التي أثرت إلى حد ما على سياسة عمان التي يغلب على سكانها قبائل الأزد اليمنية الأصل، فالعصبية العربية التي كانت أهم دعامات الدولة الأموية، ومن الثوابت القوية في تماسكها وازدهارها أصبحت مع الوقت وبالاً ودماراً على الأمويين، فقد انشطر العرب إلى عصبتين رئيسيتين تعادي إحداهما الأخرى في النزاع المشهور بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب أو النزارية واليمنية(١).

وقد بلغ هذا النزاع ذروته في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٤٩م)، ورواية المسعودي في هذا الشأن تعطى فكرة ملخصة عن هذا الصراع القبلى المدمر فيقول: «وافتخرت نزار على اليمن، وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من المناقب، وتخربت الناس، وثارت العصبية في البدو والحضر، فنتج من ذلك أمر مروان ابن محمد الجعدي، وتعصبه لقومه من نزار، وانحراف اليمن إلى الدعوة العباسية(٢).

---

(١) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٥.

Scanned by CamScanner

ونحن لا نشك أن أهل عُمان كانوا طرفاً بشكل أو بآخر في هذا النزاع بين النزارية واليمنية، فما كان يمس اليمنية خارج عُمان من مظاهر الاضطهاد أو القتل، كان يجد صداه لدى إخوانهم في عُمان في رد فعل عنيف طلباً للثأر من النزارية المقيمين في عُمان والأمثلة على ذلك كثيرة منها «قصة معن بن زاءدة باليمن، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، .. وفعل عقبة بن سالم بعُمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعُمان كياداً لمعن، وتعصباً من عقبة بن سالم لقومه من قحطان»[1].

ونحن للأسف لا نجد معلومات أخرى عن عقبة بن سالم هذا الذي ورد في رواية المسعودي السابقة، وعن دوره في عُمان والبحرين في هذا الوقت مما جعل له السلطة لكى يثأر من القبائل النزارية فيهما رداً على موقف معن بن زائدة من أهل اليمن.

ورغم هذا، فإنه من الصعب الادعاء بأن العناصر اليمنية في عُمان ومعظمهم من الأزد، وخاصة هؤلاء الذين انضموا إلى المذهب الإباضي، قد ثاروا ضد مروان بن محمد، أو شاركوا في سقوط الدولة الأموية وهدفهم تأييد الدعوة العباسية، فالاختلاف المذهبي بين الدعوة العباسية، والمذهب الإباضي، لا يختلف في جوهره عن الخلاف بين الإباضية والدولة الأموية.

وقد شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية مجموعة من الثورات العنيفة في أنحاء مختلفة من أملاك هذه الدولة اختلفت مقاصدها المذهبية وعقائدها الدينية وإن كان يجمعها الرغبة في القضاء على ملك الأمويين، ويهمنا من هذه الثورات الثورة التي قامت سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م

(١) انظر: المسعودي، مروج، ص ٢٤٦.

على حدود عُمان والتي بدأت في حضرموت وقادها عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق وكان على المذهب الإباضى[1]، ويصرح طالب الحق مبيناً أسباب ثورته فيقول: «رأيت باليمن جورا ظاهراً وعسفاً شديداً، وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: ما يحل لنا المقام على ما نرى، ولا يسعنا الصبر عليه»[2].

راسل طالب الحق زعماء الدعوة الإباضية في البصرة، فكتب إلى الإمام أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي[3] وكان ينزل في الأزد وإلى غيرهم من الإباضية يستشيرهم في الخروج والثوره على الأمويين فكتبوا إليه .. «إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك»[4] وأرسلت إليه الكتب تؤيده وتسانده وكان يحملها من استطاع الانضمام إليه من الإباضية من البصرة وعُمان، وكان من بين الذين وفدوا إلى حضرموت للانضمام إلى طالب الحق: أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي العماني[5] وقد خرج مع أبي حمزة من أهل عُمان ممن يدينون بالإباضية جابر بن جبلة بن عبيد الأزدي من نسل مالك بن فهم بجميع بطون نصر بن زهران اليحمد، وبني الحارث الغطريف وبني طمثان

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٤٠٥.
(٢) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٤.
(٣) عاش أبو عبيدة في البصرة وأخذ العلم عن زعماء الإباضية ومنهم الإمام جابر بن زيد العماني، وقد خلفه في قيادة الإباضية بعد موته، وينسب إليه الفضل في نمو الحركة الإباضية في أقطار متعددة خارج البصرة وذلك بواسطة الدعاة المدربين أو حملة العلم (انظر: عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ١٠٣).
(٤) الأغاني، نفسه.
(٥) أبو حمزة المختار بن عوف من بني سليمة بن مالك بن فهم من أصل عماني، (انظر: تاريخ الموصل، ص ١٠١)، سيده الكاشف، عمان في فجر الإسلام، ص ٦٧.

Scanned by CamScanner

ومعولة، وبني مخلد[1] وبلج بن عقبة الأزدي وكانت الكتب الصادرة إلى طالب الحق من زعماء الإباضية تحمل في طياتها تعليماتهم في حالة القتال.. «إذا خرجتم فلا تغلو، ولا تغدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم»[2].

اجتمعت الإباضية إلى عبد الله بن يحيى في حضرموت، وتمكن من السيطرة عليها، فقد كان عليها في ذلك لوقت والياً من قبل الدولة الأموية يدعى إبراهيم بن جبلة بن مخزمة الكندي، ويبدو أنه لم يحدث بينهما قتال لأن كلاهما من كنده[3] ولكن اكتفى طالب الحق بالقبض عليه وسجنه لمدة يوم واحد، ثم أطلق سراحه فتوجه إلى صنعاء، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت حتى جاءت إليه الإباضية من كل مكان وكثر جمعه فبايعوه وعامة أصحابه من أهل البصرة وأطلقوا عليه «طالب الحق»[4] وخوطب بأمير المؤمنين[5]. وكان يتزعم إباضية عمان في هذه البيعة الجلندي بن مسعود بن جيفر[6] الذي سيتولى الإمامة الإباضية الأولى فيما بعد.

وتجدر الإشارة إلى أن ما يهمنا من أمر حركة «طالب الحق» هو مشاركة إباضية عمان فيها مشاركة فعالة، فقد جمعت هذه الثورة العناصر المؤيدة للمذهب الإباضي في المراكز الرئيسية للحركة في البصرة وعمان

(١) واضح من روايات أبي زكريا أن أعداداً كبيرة من بطون الأزد العمانية شاركت في تأييد طالب الحق، بالإضافة إلى بني مخلد وغيرهم من بطون نصر بن هران وسليمة ومعن ابني مالك بن فهم، وغيرهم من ولد مالك ابن فهم. (انظر: تاريخ الموصل، ص ٧٧، ٧٨، ٨٠).
(٢) انظر: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٤.
(٣) تاريخ الموصل، ص ٧٧.
(٤) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، السالمي، تحفة، ص ٦٠.
(٥) تاريخ ابن خياط، نفسه، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٥.
(٦) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٢٥.

وحضرموت والمين، فكانت ثورة مذهبية في المقام الأول، وإن كانت العناصر الرئيسية فيها يمنية الأصل، إلا أنه من الواضح أن المحرك للثورة لم يكن التعصب القبلي ضد النزارية فحسب، بل نشر تعاليم المذهب الإباضي وإقامة إمامة إباضية تسيطر على ما يمكن السيطرة عليه من أملاك الدولة الأموية.

فما كادت الأمور تستقر لعبد الله بن يحيى في حضرموت، حتى كتب إلى إباضية صنعاء بأنه في الطريق إليهم، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه إلى صنعاء (سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م) وتمكن من الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة مع واليها القاسم بن عمر الثقفي ووضع طالب الحق يده على ما في صنعاء من خزائن وأموال[1] كان في أمس الحاجة إليها لتقوية جيوشه والإنفاق على أتباعه.

ويبدو لنا أن طالب الحق لم يحسن تقييم مقدرته العسكرية بالقياس إلى قوة خصمه مروان بن محمد، وبالتالى لم يضع لطموحاته حدوداً يقف عندها ولا يتخطاها في صراعه ضد الدولة الأموية. فطالب الحق لم يكن يملك من القوة ما يمكنه تحقيق حلمه في القضاء على الدولة الأموية ووراثتها في حكم العالم الإسلامى فلا قوته العسكرية ولا سعة الانتشار والتأييد لمذهبه يمكناه من تحقيق ذلك، ولا سيما أن الدعوة العباسية في ذلك الوقت (١٢٩هـ/٧٤٦م) كانت قد بدأت صراعها العسكرى ضد الدولة الأموية مؤيدة بحشود ضخمة في خراسان والأقاليم الشرقية بوجه عام[2]، وكان يمكن لطالب الحق الاستقرار فيما تحت يده من أقاليم لفترة أطول مظهراً مذهبه،

(١) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٦.
(٢) انظر التفاصيل، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥٣ وما بعدها، المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

Scanned by CamScanner

مؤيداً بمن يسانده من العناصر الإباضية المجاورة، ولكن يتضح من تحركاته العسكرية بعد استيلائه على اليمن أن طموحاته كانت أكبر من ذلك.

فتروي المصادر أنه في موسم حج سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م بعث عبد الله ابن يحيى، أبا حمزة المختار بن عوف، ويلج بن عقبة الأزدي على رأس جيش في اتجاه الحجاز، وكانت أوامره أن يقيم المختار بن عوف بمكة بعد انتهاء الموسم ويستولي عليها، وأن يتوجه بلج إلى الشام لمواجهة الخليفة الأموي مروان بن محمد[١].

وإذا كان ما ذكر عن عدد جيش «طالب الحق» الذي أسندت إليه القيام بهذه المهمة وهو عشرة آلاف[٢] صحيحاً، فإن طالب الحق - في رأينا - كان يقوم بمغامرة غير محسوبة ستكون لها نتائج سيئة على الحركة الإباضية برمتها، ورغم ذلك فإن المصادر الإباضية تعتبر حركة طالب الحق هذه أقوى حركة للإباضية في تاريخها[٣].

ولم يكتف طالب الحق بذلك، بل تروي المصادر أنه أرسل الرسل والدعاة إلى مصر، يدعو أهلها إلى الثورة وتأييده في حركته ضد مروان بن محمد، فبايع له نفر من قبيلة «تجيب» اليمنية وكان والي مصر في ذلك الوقت «حوثرة بن سهيل الباهلي» (١٢٨-١٣١هـ/٧٤٥-٧٤٨م) وهو من القيسية[٤] الذي كان قد بدأ ولايته لمصر بمطاردة اليمنية وقتل أعداداً كبيرة

(١) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٧.
(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، قارن: أبو زكريا، تاريخ الموصل، ص ١٠١.
(٣) انظر: كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، ج ١، تحقيق د. سيده الكاشف، القاهرة ١٩٨٦، ص ١١٩.
(٤) انظر: الهمداني، عجالة المبتدي، ص ٢٢.

منهم حتى أنه قضى على أسر بأكملها[١]. ويبدو أن عدد المؤيدين لحركة عبد الله بن يحيى في مصر كان قليلاً، فقد كشف صاحب الشرطة أمرهم وقبض عليهم وقتلهم حوثرة جميعاً[٢].

ولعله ليس من قبيل المصادفة أن يتحرك الإباضية في المغرب في نفس السنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) ويقومون بثورة عنيفة ضد الأمويين هناك لم يكتب لها النجاح[٣].

وليس لنا أن نخوض في تفاصيل المعارك التي دارت بين جيوش عبد الله بن يحيى وبين الجيوش الموالية لمروان بن محمد في الحجاز، ولكن يمكننا الإشارة إلى أن أبا حمزة المختار بن عوف قد تمكن بعد انتصاره في موقعة قديد بالقرب من المدينة في صفر سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، وفرار والي المدينة عبد الواحد بن سليمان إلى الشام أن يضع يده على الحجاز ويحكم سيطرته على مكة والمدينة[٤] وقتل في معركة قديد عدد كبير من القرشيين يقدر بحوالي أربعمائة وخمسون رجلاً[٥]، ومما يظهر تغلغل التعصب القبلي في النفوس، ما يشير إليه صاحب الأغاني من شماتة الأزد العمانيين في هزيمة قريش لعدم اعترافها بنسبهم، فيروى على لسان أحد العمانيين المشاركين في المعارك «الحمد لله

(١) راجع: الكندي (أبو عمر بن يوسف)، كتاب الولاة والقضاة، بيروت ١٩٠٨، ص ٩٠-٩١، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب ١٩٦٣)، ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٥.
(٢) انظر: الكندي، المصدر السابق، ص ٩٢.
(٣) تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤١١.
(٤) انظر التفاصيل: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٠، تاريخ الموصل، ص ١٠٨ - ١٠٩، تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٧.
(٥) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٢.

Scanned by CamScanner

الذي أذلهم بأيدينا، فما كانت قريش تظن أن من نزل عُمان من الأزد عربي،[1].

ويتضح مما تقدم أن التجمع الإباضي بقيادة عبد الله بن يحيى لم يكن هدفه محصوراً في إقامة إمامة إباضية في حضرموت واليمن فحسب، بل كان يرمي إلى ضرب الخلافة الأموية في كل مكان والقضاء عليها، كما نلاحظ أن حضور الجلندي بن مسعود بيعة عبد الله بن يحيى في حضرموت لم يكن حضوراً سياسياً الهدف منه التأييد المعنوي فحسب، بل إن العُمانيين قد شاركوا بفاعلية في المعارك التي خاضتها جيوش عبد الله بن يحيى، وإن كان لم يذكر اسم الجلندي بن مسعود بين قواد المعارك، فإن المختار بن عوف العماني كان يشاركه عدد كبير من العُمانيين من أبناء عمومته[2].

وكيفما كان الأمر، فإن ثورة طالب الحق لم يكتب لها النجاح فقد داهمتها قوات مروان ابن محمد بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي الذي استرد الحجاز وقتل المختار بن عوف وبلج بن عقبة في عدد كبير من أتباعهم في نفس السنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) وفر من بقي منهم على قيد الحياة إلى اليمن[3] واستمر عبد الملك بن عطية في مطاردتهم حتى أوقع بطالب الحق وقتله في معظم أصحابه، ودخلت قوات مروان بن محمد اليمن، وتتبعت الإباضية للقضاء عليهم ووصلت قوات ابن عطية إلى حضرموت حيث دارت معارك عنيفة هزم فيها الإباضية[4].

(١) انظر: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٠.
(٢) انظر: تاريخ الموصل، ص ١١٢.
(٣) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٤٥.
(٤) نفسه، ص ٢٤٩.

ورغم هذه النهاية الدامية التي انتهت بها حركة الإباضية بقيادة عبد الله بن يحيى، إلا أن المصادر تذكر أن مطاردة القوات الأموية لبقايا الإباضية توقفت عند حضرموت[1] لأن أوامر صدرت إلى القائد الأموي عبد الملك بن عطية بالتوجه إلى مكة ليشهد موسم الحج (١٣٠هـ/٧٤٧م) ويبدو أن الموسم كان على الأبواب فأسرع في عدد قليل من أصحابه متوجهاً إلى مكة، وفي الطريق تمكن عدد من الإباضية من قتل عبد الملك بن عطية وأصحابه، وثأروا لمن قتل منهم في معاركة ضدهم.

ومن المرجح أن أعداداً كبيرة من الفارين بعد هزيمة طالب الحق لم يكن لهم ملجأ في ذلك الوقت إلا عُمان القريبة منهم والتي بها عدد كبير من إخوانهم في المذهب، فيروي المسعودي أحداث هزيمة طالب الحق على أيدي القوات الأموية فيقول: «فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الإباضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت .. ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا المذهب»[2]. وكان هذا التجمع الإباضي تمهيداً منطقياً لمحاولة جديدة من جانب الإباضية لإقامة أول إمامة لهم في عُمان.

إمامة الجلندى بن مسعود فى عُمان:

تكاد تصمت مصادر التاريخ العام التي بين أيدينا عن ذكر إمامة الجلندي بن مسعود على عمان كأول إمام ظهور إباضي، ولا يأتي ذكر هذا الحدث إلا مرتبطاً بواقعة أخرى: وهي مطاردة خازم بن خزيمة للخوارج الصفرية في جزيرة ابن كاوان (البحرين) والذين فروا منها إلى عُمان وتصدى

(١) تاريخ الموصل، ص ١١٤.
(٢) المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٢٥٨.

Scanned by CamScanner

لهم الجلندي بن مسعود في الإباضية وقضى عليهم وقتل قائدهم شيبان بن عبد العزيز الحروري[1].

ولكن المصادر العُمانية تعطينا بعض التفصيلات المهمة عن حالة عُمان في أعقاب قيام الدولة العباسية وعن الظروف التي ساعدت على قيام الإمامة الإباضية الأولى، فيروي السالمي: «أن أبا العباس السفاح ولّى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق، وولى المنصور على عمان جناح بن قيس بن عمرو الهنائي، ثم عزله وولى ولده محمد بن جناح، فلان للمسلمين (يقصد الإباضية) ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عُمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندي بن مسعود، فكانت سبباً لظهور الإسلام وقوة شوكته»[2]. والنص السابق يحتاج منا إلى وقفة للمناقشة والمقارنة والتصحيح.

فإن ما رواه السالمي ومن أخذ عنه من المؤرخين المحدثين[3] من أن والي العراق في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م عند قيام الخلافة العباسية كان أبو جعفر المنصور يتنافى مع ما جاء في المصادر المختلفة، فوالي البصرة في هذه السنة كان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب طبقاً لما جاء في أقدم المصادر[4]، وطبقاً لما هو متبع منذ العصر الأموي فإن عُمان كانت تتبع البصرة إدارياً، واستمر هذا في العصر العباسي، ويؤكد ما ذهبنا إليه نص للطبري في أحداث سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م عن ولاة الدولة العباسية في هذه السنة فيقول: «فمن ذلك ما كان من توجيه أبي العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥١ – ٣٥٣، ص ٤٦٣.
(٢) السالمي، تحفة، ص ٥٣، ٥٤، ٦٠.
(٣) انظر: الأزكوي، كشف الغمة، ص ٤٣، محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عمان، ص ١٣.
(٤) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٣٠، تاريخ الطبر ي، ج ٧، ص ٤٥٨.

وأعمالها، وكور دجلة والبحرين وعُمان..»[1] مما يوحي بأن سفيان بن معاوية والي البصرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م كانت تتبعه إدارياً نفس الأقاليم السابق ذكرها.

أما عن ولاية أبي جعفر المنصور على العراق، فإن المصادر تؤكد ان المنصور قد أسندت إليه في هذا الوقت ولايات الجزيرة وآذربيجان وأرمينية[2] وهذه أقاليم لا علاقة لها بعُمان من الناحية الإدارية.

هذا وكان سفيان بن معاوية المهلبي قد ساند الدعوة العباسية في البصرة انتقاماً لما فعله الأمويون بآل المهلب، فلبس السواد وحارب الوالي الأموي على البصرة[3] وبعد نجاح الدعوة العباسية كانت مكافأة العباسيين لسفيان بأن أسندوا إليه ولاية البصرة وتوابعها وردوا إليه أملاك آل المهلب في البصرة والتي كانت الدولة الأموية قد صادرتها أبان غضبها على آل المهلب[4].

ومن المحتمل أن سفيان بن معاوية والي البصرة في بداية العصر العباسي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، عندما أراد أن يعين والياً على عُمان – وطنه الأصلي – اختاره بحيث يقف بجانب رغبات أهلها ويعمل على راحتهم والإحسان إليهم، لذلك كان اختياره لاثنين من بني هناءة وهم من الأزد العمانيين[5] واحداً بعد الآخر: جناح بن عباد الهنائي، ثم ابنه محمد بن

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٩.
(٢) تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٣٩، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٨.
(٣) انظر التفاصيل: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٢٦ – ٤٢٧، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤٥.
(٤) انظر: البلاذري، فتوح، ص ٤٥١، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ – ١٥٧.
(٥) الهنائي: منسوب إلى هناءة بن مالك بن فهم، بطن من الأزد وهم بعمان والبصرة (انظر: الهمداني، عجالة، ص ١٢٥).

Scanned by CamScanner

جناح، ومن المرجح أنهما كانا يعتنقان المذهب الإباضي، فلما أصبح أحدهما بعد الآخر والياً على عُمان ساعدا على قيام الإمامة الإباضية، فالأول له مسجد مشهور في صحار يعرف بمسجد جناح[1] واستمرار وجود هذا المسجد والحرص على تعميره قد يكون إشارة إلى الذكرى الطيبة التي يحلمها الإباضية لهذا الرجل. وفي نفس الوقت فإن محمد بن جناح الذي تولى على عمان بعد والده، قد قطع شوطاً بعيداً في اتجاه مساندة الدعوة الإباضية، فعبارة السالمي توحي بأنه قد سلم مقاليد الولاية في عمان للإباضية «فدانهن الإباضية حتى صارت ولاية عُمان لهم»[2].

ومن الغريب حقاً أن حدثاً مهماً مثل عقد الإمامة الإباضية الأولى للجلندي بن مسعود في عِمان لا نجد له تاريخاً محدداً حتى في المصادر المحلية، ولكن هناك ارتباط بين عقد هذه الإمامة وبين قيام الدولة العباسية، والمعروف أن الدولة العباسية قد أعلنت في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م[3]، ورغم ذلك فإنه لا يمكن قبول القول بأن عقد إمامة الجلندي في عُمان كانت متزامنة مع قيام الدولة العباسية كما قرر البعض[4].

فكما ذكرنا – فإنه بعد قيام الدولة العباسية تولى على عمان إثنان من الولاة الواحد بعد الآخر، وكان لهما دوراً واضحاً من الناحيتين القبلية والمذهبية في التمكين للدعوة الإباضية في عُمان وتسهيل قيام الإمامة الأولى للإباضية، فإذا كان الدولة العباسية قد ظهرت في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فمن المستبعد أن يستمر حكم واليين على عُمان أقل من

(١) السالمي، تحفة، ص ٥٤.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٤، سيدة الكاشف، المرجع السابق، ص ٧٩.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٣١، المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٧٠.
(٤) انظر: رشيد العقيلي، المرجع السابق، ص ١٨.

الشهور الباقية من عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، مما أرجح معه أن الإمامة قد ظهرت في عُمان في أواخر سنة ١٣٢هـ أو أوائل سنة ١٣٣هـ.

ويبدو أن خبر إعلان هذه الإمامة قد أغضب الخلافة العباسية على واليها على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي، وشعر العباسيون بما يمكن أن يكون قد قدمه من تسهيلات ساعدت على قيام الإمامة الإباضية، لكانت النتيجة المنطقية لكل هذا هو عزل سفيان عن البصرة، فيروي الطبري أنه في سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م وجه الخليفة أبو العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان[1].

بدأ الجلندي بن مسعود بعد توليه الإمامة في عُمان في تنظيم شئون الحكم والإدارة على أسس تتسم بالمركزية، فنظم الناحية المالية وخاصة فيما يتعلق بالصدقات ومصارفها الشرعية كما اهتم بما يفرض على التجار وعلى مصادر العمل في البحر، كما نظم القضاء العُماني وأسنده إلى العناصر الموثوق بها من الإباضية المشهود لهم بسعة العلم ودماثة الخلق[2].

ويبدو أن تنظيم مالية البلاد كان مرتبطاً إلى حد ما بتنظيم فرق الجيش العماني في ذلك الوقت، فكانت الوحدات العسكرية يتراوح عدد أفرادها ما بين مائتين وأربعمائة، وأسندت قيادة كلّ وحدة إلى قائد عسكري يشترط فيه التعمق في الفقه الإباضي بالإضافة إلى الحزم والقوة كما قسمت هذه الوحدات العسكرية إلى جماعات صغيرة تتكون الجماعة من عشرة أفراد يرأسهم عريف أو مؤدب من الملمين بتعاليم المذهب الإباضي ليعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف ويهديهم إلى سبيل الرشاد.

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٩.
(٢) السلامي، تحفة، ص ٦٠.

Scanned by CamScanner

وكان راتب الجندي العُماني في ذلك الوقت صغيراً يقدر بسبعة دراهم شهرياً، ونحن لا ندري قيمة هذه الدراهم الشرائية في ذلك الوقت ومدى كفايتها لحياة الجندي ومن يعولهم ولكن الراوي الذى نقل عنه السالمي يقول: «وكان المرء منهم يرزق في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر، فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله، قال: وقد بلغنا أنه ربما بقي مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان، فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين»[1].

وهذا التنظيم العسكري والعقائدي الدقيق الذي وضعه الجلندي بن مسعود لرجاله من الشراة، وما طبعهم عليه من التقشف والبعد عن الشهوات والتفاني والرغبة في الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن والعقيدة، يدل على أن الجلندي كان يشعر أنه لا شك سوف يواجه بقوة عاتية تحاول القضاء على إمامته والوقوف في وجه دولته الناشئة، فقد خبر الجلندي من قبل التعامل مع «الجبابرة» – وهو المصطلح الذي يطلقه الإباضية على السلطة الحاكمة المعادية لهم[2] – أثناء الصراع العنيف الذي دار بين القوات الأموية وحركة عبد الله بن يحيى طالب الحق.

بالإضافة إلى ما سبق فقد اهتم الجلندي بن مسعود بتنظيم بعض الشئون الاجتماعية في عُمان خاصة ما يتعلق بملابس النساء التي أمر بأن لا يظهر منهن إلا الوجه والبنان، كما نهى النساء عن الخروج في يوم المطر أو الجلوس في الطرقات، كما أمر الرجال بتقصير ملابسهم وألا يظهروا ما فوق

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦١، ٦٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

الركبة، وفرض على أهل الذمة عدم التشبه بملابس المسلمين[1]، مما يوحي بأن هذه الأمور لم تكن منفذة من قبل على الوجه الأكمل وأن الجلندي أراد أن تطبق بدقة كاملة مع إلزام الجميع باتباع هذه التعليمات.

وبالرغم من إقامة إمامة الظهور في عمان بقيادة الجلندي بن مسعود، إلا أنه من استقراء الأحداث يفهم أن القيادة العليا للحركة الإباضية ظلت في مدينة البصرة، وأن زعماء المذهب في البصرة كانت بيدهم الفتوى في القضايا الخلافية التي يتعرض لها إباضية عُمان، ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما ناقت أنفس بعض أفراد الجيش الجلندي بن مسعود من الشراة إلى النساء ورغبوا في الزواج، وهذا مما يتعارض مع طبيعة مهمتهم وتعاليم المذهب، وشعر قادتهم بالخوف لما دب في نفوسهم من الشهوات، عرضوا أمرهم على علماء الإباضية في البصرة «فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه، وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا الله أنفسهم للنساء، وطلب الشهوات»[2] وجاءت الفتوى فقبلها الجميع، «واقتدوا بهدي أهل الفضل واتبعوا أمرهم»[3].

أما المثال الآخر فهو ما حدث من والي ولاية «ابري» أبو صالح الوضاح الذي أمن جماعة من أعداء الإباضية وقعوا في يده، وخرج بهم إلى الجلندي بن مسعود الذي رفض الاعتراف بهذا الأمان الذي منحه الوالي، ووجه من لقي الوضاح في الطريق وقتل الذين أمنهم، فحدث خلاف فقهي بين الإباضية حول هذه الحادثة، فرفعت المسألة إلى زعماء الإباضية بالبصرة

(١) السالمي، المرجع السابق، ص ٦١، ٦٢.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦١.
(٣) نفسه، ص ٦٢.

Scanned by CamScanner

فكانت الفتوى «لا أمان إلا للإمام، ولا أمان دون الإمام»[1]. وهكذا يتضح الارتباط الوثيق بين إباضية البصرة والإمامة الأولى في عمان، ورغم هذه الاتصالات القوية، فإنه من الصعب قبول الرأي القائل بأن الإمامة الإباضية في عمان «اعتبرت نفسها الممثل الشرعي للإمامة في العالم الإسلامي، .. التي كانت تهدف أن تمد نفوذها أولاً بأول من المناطق المجاورة لعمان إلى كافة أقطار العالم الإسلامي»[2].

وفي رأينا أن هذا تعميم خطير من الصعب الأخذ به دون أدلة من المصادر التي بين أيدينا، والتي لم تذكر أو تلمح إلى تحركات عسكرية أو نشاط عدائي يهدف أن تفرض الإمامة الإباضية نفوذها على العالم الإسلامي، على العكس من ذلك نرى أن القيادة العليا للمذهب الإباضي لم تكن داخل عمان، بل ظلت حتى ذلك الوقت يقودها علماء البصرة كما ذكرنا.

والأهم من ذلك أن الإمامة الإباضية لم تكن تسيطر على كل عمان خلال فترة حكم الجلندي مسعود، ويفهم من الروايات العمانية أن عناصر من بني الجلندي، كانوا على خلاف مع الجلندي بن مسعود، مما اضطره للتخلص من معارضتهم إلى قتل عدد من أفراد أسرته وهم جعفر بن سعيد الجلنداني، وابنيه النظر وزائدة[3]، ويبدو أن الخلاف كان سياسياً ومذهبياً في نفس الوقت، أي أن هذه العناصر المعارضة من بني الجلندي وأعوانهم لم يكونوا يدينون بالمذهب الإباضي، لذلك كان امتناعهم عن بيعة الجلندي بن

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣.
(٢) انظر: محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عُمان، ص ١٨.
(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣، قارن، ولكنسن، المرجع السابق، ص ٢٢، الذى يرجع سبب المناقشة بين أسرة الجلندي أن الإمام الجلندي بن مسعود كان يرجع في نسبه إلى جعفر بن الجلندي، في حين كان خصومه يرجعون في نسبهم إلى عبد بن الجلندي.

مسعود بعد تحدياً لتعاليم الإباضية. ولكن قتل زعماء المعارضة من بني الجلندي لم يكن يعني زوال خطرهم والقضاء على نفوذهم، والدليل على ذلك أنه بمجرد قتل الجلندي بن مسعود سنة ١٣٤هـ/٧٥١م على يد الجيوش العباسية – كما سنوضح فيما بعد – ظهرت هذه العناصر مرة أخرى على مسرح الأحداث لتحتل مركز القيادة وتحل محل العناصر التي تدين بالمذهب الإباضي من بني الجلندي ويؤكد السالمي هذا المعني في قوله: «وبقيت عمان بعده (الجلندي بن مسعود) في يد الجبابرة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس»[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمامة لم تكن مستقرة تماماً للجلندي بن مسعود خلال فترة حكمه لعُمان، ويبدو أنه قد أقدم على قتل العناصر المعارضة من أسرته تحت ضغط من جانب العناصر المتشددة من مستشاريه؛ لأنه بعد تنفيذ الحكم بإعدامهم فاضت عيناه بالدموع، مما جعل هؤلاء ينتقدون هذه المشاعر، ويتهمونه بالتعصب لأسرته، وفي رواية أخرى أنهم طالبوه بالاعتزال عن الإمامة، فاستجاب الجلندي لرغبتهم، وطرح عنه السيف والقلنسوة – التي يبدو أنهما كانتا من رسوم الإمامة – ثم استجاب بعد ذلك لإلحاح أهل الحل والعقد للعودة لتولي منصب الإمامة ثانية[2].

مما سبق يتضح أنه من الصعب في مثل هذه الظروف الداخلية في عمان والتي تتسم بالتوتر الداخلي، وظهور المعارضة للجلندي بن مسعود الذي كان يحاول تنظيم الشئون العسكرية والمالية والاجتماعية في بلاده، أن تكون له طموحات خارج عمان، ولعله قد استفاد من تجربة عبد الله بن يحيى

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٦.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣.

Scanned by CamScanner

طالب الحق، الذي شتت قواه العسكرية وبعثر جهوده في سبيل مد نفوذه خارج اليمن مما أدي إلى قتله ومعظم أتباعه على يد الجيوش الأموية، رغم أن الدولة الأموية كانت تمر بمرحلة الضعف والانهيار، وتحاصرها الثورات في كل مكان. لذلك كان من الصعب على الجلندي – حتى لو أراد – أن يوسع نفوذه على حساب أملاك الدولة العباسية. بل كان عليه أن يواجه خطر التدخل من جانب القوات السياسية للقضاء على إمامته واستعادة عُمان إلى كنف الخلافة.

وتربط المصادر التاريخية على اختلافها بين حادثة الحرب بين خازم بن خزيمة القائد العباسي والخوارج الصفرية الذين فروا من جزيرة ابن كاوان إلى عُمان ومقتل زعيمهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري على يد الجلندي ابن مسعود، وبين القضاء على الإمامة الإباضية الأولى ومقتل الجلندي بن مسعود على يد الجيوش العباسية.

وقد اختلفت الروايات في ذكر هذه الحادثة وتاريخها .. فالطبري على سبيل المثال يروي في تاريخه عدة روايات مختلفة عن مقتل شيبان هذا فيقول أنه قتل سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م في ناحية البحرين[١] ثم يذكر في رواية ثانية أنه قتل في نفس السنة ولكن في عُمان، قتله جلندي بن مسعود[٢] ثم يُعطينا رواية ثالثة بأنه قتل في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م في سجستان[٣] ثم يعود فيذكر في أحداث سنة ١٣٤هـ/٧٥١م حادثة قتل شيبان بن عبد العزيز في عُمان على يد الجلندي بنس مسعود بشيء من التفصيل[٤].

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥١.
(٢) نفسه، ص ٣٥٣.
(٣) نفسه، ص ٣٥٢.
(٤) نفسه، ص ٤٦٣، قارن: تاريخ الموصل، ص ٧٦.

وتكرر معظم المصادر حادثة قتل شيبان مرتين، مرة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م والثانية سنة ١٣٤هـ/٧٥١م ويسبب قتله في كلتا الحالتين للجلندي بن مسعود في عُمان[١] ولا تحاول هذه المصادر حل هذه المشكلة، ولكن ابن الأثير يعلق في نهاية الرواية الثانية ليذكرنا بروايته الأولى فيقول: «وقد تقدم سنة تسع وعشرين مائة قتل شيبان على هذا السياق»[٢].

وهذا الموضوع يرجع في بدايته إلى ثورة الضحاك بن قيس الشيباني الحروري – من الخوارج الصفرية – التي اشتعلت ضد مروان بن محمد سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)، وتعددت المعارك العنيفة بين جيوش الضحاك وجيوش مروان إلى أن قتل الضحاك «ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك: الحري الشيباني، فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها أبا الدلفاء شيبان الشيباني»[٣].

ويهمنا من النص السابق الذي أورده المسعودي أن الضحاك بعد قتله تولى بعده شخصاً يدعى «الحري الشيباني، وهو ما أطلقت عليه بعض المصادر اسم «الخيبري»[٤]. ثم تولى بعده زعامة الصفرية «أبو الدلفاء شيبان الشيباني» وأبو الدلفاء هذا هو «شيبان بن عبد العزيز اليشكري» الذي يعرف «بأبي الدلفاء»[٥]، وهكذا يفهم من النص أن هناك قائدين تولى كلاهما زعامة

(١) يذكر ابن خياط هذه الحادثة سنة ١٢٩هـ، وأن شيبان قتل في عمان، ولا يذكر اسم الجلندي (انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٠، ٤٠٩).
(٢) الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٥٦.
(٤) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٠، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٤٩، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٨.
(٥) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٤٩.

Scanned by CamScanner

الصفرية أحدهما بعد الآخر في أعقاب مقتل الضحاك بن قيس وكلاهما ينسب إلى شيبان، وهذا ما لم توضحه المصادر أما الأول فهو الحري الشيباني المعروف بالخيبري والذي قتل في الحرب ضد الدولة الأموية في خراسان سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[١] والثاني فهو أبو الدلفاء شيبان بن عبد العزيز اليشكري، والذي تمكن من الإفلات بفلول الصفرية وأقام بجزيرة ابن كاوان وانشغلت عنه الدولة الأموية بمشاكلها، كما انشغلت عنه الدولة العباسية حتى استقرت أوضاعها فأرسلت حملة سنة ١٣٤هـ/٧٥١م للقضاء على الصفرية وإخضاع عُمان. ويؤكد هذا، النص الذي أورده النويري، فيذكر بعد أن استعرض حادثة مطاردة خازم بن خزيمة لشيبان بن عبد العزيز ولجوء الأخير إلى عُمان وقتله على يد جيش الإباضية بقيادة الجلندي بن مسعود سنة ١٣٤هـ/٧٥١م «وقد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة في أخبار مروان بن محمد قتل شيبان هذا، وليس هو شيبان الذي قتل بخراسان ذلك شيبان بن سلمة»[٢].

والطريقة التي أرسل بها خازم بن خزيمة إلى جزيرة كاوان سنة ١٣٤هـ/٧٥١م توحي بأن الخلافة العباسية كانت ترغب في الإنتقام من خازم فأرسلته لهذه المهمة على أمل أن يلقى حتفه أو يعود بنصر عزيز المنال يكفر به عما ارتكبه من جرم في حق أخوال الخليفة أبي العباس وقتله عدداً منهم[٣] وكانت أوامر الخليفة أن يتوجه خازم لمهمته مع سبعمائة رجل فقط، وكتب إلى سليمان بن علي والي البصرة بحمل خازم ورجاله في السفن إلى

(١) انظر: النويري، ج ٢٢، ص ٦٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: تاريخ الموصل، ص ١٥٥.

جزيرة ابن كاوان ولا شك أن هذا الجيش يعد صغير الحجم بالقياس إلى المهمة التي أسندت إليه وهي حرب الخوارج الصفرية وإخضاع عُمان[١].

ولكن خازم احتاط لنفسه، وجمع عدداً كبيراً من أهله وعشيرته ومواليه، ومن أهل مدينة «مرو الروذ» الذين كانوا موضع ثقته، فلما وصل خازم برجاله إلى البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم إلى جيش خازم في البصرة أعداد من قبيلة بني تميم، وكانت المحطة الأولى لهذه القوات جزيرة ابن كاوان حيث يتجمع الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز، فوجه إليه خازم خمسمائة رجل بقيادة نضلة بن نعيم النهشلي، ووقع بين الجانبين قتال عنيف كانت الغلبة فيه للجيش العباسي، مما اضطر شيبان إلى الهرب من الجزيرة فركب وأصحابه السفن وساروا إلى عُمان[٢].

وهكذا تمت المواجهة بين الخوارج الصفرية بقيادة شيبان، وبين إباضية عُمان بقيادة الإمام الجلندي بن مسعود، وتروي المصادر العُمانية أن الجلندي عندما علم بنزول شيبان برجاله على سواحل عُمان، أخرج إليهم فريقاً من جيشه بقيادة هلال بن عطية الخراساني ويحيى بن نجيح، وقبل المواجهة العسكرية، قام يحيى بدعوة شيبان إلى الدخول في المذهب الإباضي وبذلك يمكن حقن الدماء وانضمامه إلى إخوانه من الإباضية، ولكن الصفرية لم يستجيبوا لدعوة السلام، ودارت معركة بين الجانبين قتل فيها شيبان ورجاله، واستولى العُمانيون عليهم فلم تبق منهم بقية، وقتل من الجانب الإباضي يحيى ابن نجيح في عدد من رجاله[٣].

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦١ – ٤٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٠–٤٥١.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٤، قارن: عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٣١.

Scanned by CamScanner

ويبدو أن خازم بن خزيمة كان يراقب ما يجري من معارك بين الصفرية والإباضية على أرض عُمان، منتظراً ما تسفر عنه هذه المعارك حتى يتخذ الخطوة التالية، فما كاد يقضي الإباضية على الصفرية حتى تحرك خازم في سفنه ونزل على سواحل عمان لتنفيذ الجزء الثاني من مهمته بإخضاعها لسلطان الخلافة العباسية[1].

وتنفرد الرواية العمانية بذكر ما يفيد أن خازم بن خزيمة عندما نزل برجاله على الساحل العماني تقدم إلى منطقة جلفار (رأس الخيمة حالياً)، وقبل الدخول في مواجهة مع الجلندي أبلغه أنه جاء إلى عُمان بهدف مطاردة شيبان ورجاله، وطالما أن العُمانيين قد كفوه مشقة قتالهم، فإنه يرغب في مسالمتهم، وطلب منه الدخول في طاعة الخليفة العباسي، وإعلان الولاء للدولة العباسية. فجمع الجلندي بن مسعود كبار مستشاريه ومنهم هلال بن عطية الخراساني أحد قادة الحرب ضد شيبان، وشبيب بن عطية العُماني وخلف بن زياد البحراني، وعرض عليهم مطالب خازم والتي كانت تتلخص في تسليم خاتم شيبان بن عبد العزيز وسيفه اللذان غنمهما العُمانيون بعد قتله، ويبدو أن هذا كان بهدف إرسالهما للخليفة دليلاً على التخلص من ثورة الصفرية والقضاء على قائدها، أما المطلب الآخر لخازم فكان إلزام العُمانيين بالدعاء للخليفة العباسي على منابر عُمان، وأن يعلن الجلندي وأصحابه السمع والطاعة للدولة العباسية[2].

وبعد مشاورات وافق العُمانيون على الشرط الأول بالإضافة إلى منح خازم بعض المال في سبيل الحفاظ على دولتهم الناشئة وعدم الدخول في

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٤، الأزكوي، كشف الغمة، ص ٤٣.

صدام مع القوات العباسية، ولكن خازم أصر على أن يقر العُمانيون بالطاعة للخلافة العباسية، وكان من الصعب على الإباضية قبول هذا الشرط الذي يعد خروجاً على تعاليم المذهب الإباضي الذي أفتى علمائه «أن ذلك لا يجوز في باب الدين، أن يُدفع عن الدولة بالدين، وإنما يُدفع عنها بالرجال والمال»[1].

ويبدو أن عناصر من علماء المذهب الإباضي كانوا أقل تشدداً ويرغبون في حقن الدماء وعدم الدخول في مواجهة مع قوات خازم، وكانت هذه العناصر ترى أنه «لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بألسنتهم إذا خافوا على الدولة والرعية»[2] إلا أن أصحاب الرأي الأول كانوا أكثر تأثيراً، وكان على الجلندي أن يقاتل القوات العباسية استجابة لتعاليم المذهب الإباضي وفتوى علمائه[3].

وتشير المصادر العامة إلى المعارك العنيفة التي دارت بين جيش خازم ابن خزيمة وبين أتباع الجلندي بن مسعود على أرض عُمان، ويظهر من أحداث هذه المعارك أن الجيش العُماني كان مدرباً تدريباً قوياً، تقوده قيادة تعي طبيعة المكان، فعند الصدام بين الجانبين، كانت الخسائر شديدة في صفوف الجيش العباسي في اليوم الأول، ويبدو أن جيش خازم كان مازال على الساحل العُماني، وفوجئ بهجوم عنيف على قواته، فيروي الطبري «وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وهم يومئذ على ضفة البحر، وقتل

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٥.
(٢) نفسه.
(٣) انظر: السير والجوابات، سيرة أبي قحطان خالد، ص ١٢١.

Scanned by CamScanner

فيمن قتل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل في تسعين رجلاً من أهل مرو الروذ،[1].

وقد أغضبت هذه الهزيمة القائد العباسي، فثأر من العُمانيين بقسوة في اليوم التالي مباشرة، ويبدو أنه نظم صفوفه، واستوعب طبيعة المكان، فتروي المصادر أن المعركة في هذا اليوم قد أسفرت عن قتل نحو تسعمائة من العمانيين، وأحرقوا منهم نحو تسعين[2]، ولم تذكر المصادر الخسائر في صفوف القوات العباسية في هذه المعركة، وإن كان من غير المستبعد أن الخسائر لدى قوات خازم كانت كبيرة أيضاً، ويبدو من عبارة «وأحرقوا منهم نحوا من تسعين رجلاً»[3] أن جيش خازم كان يواجه موقفاً صعباً مما دفعه إلى استخدام السهام والرماح التي على أسنتها النفط لإيقاع الرعب في صفوف العُمانيين.

وكيفما كان الأمر، فإن هذه المعركة كانت من العنف بحيث أن خازم لم يفكر في مواصلة القتال ضد العُمانيين لمدة سبع أيام متصلة. كان خلالها يعمل الفكر، ويقدر الموقف، ويستشير رجاله بحثاً عن وسيلة تمكنه من تحقيق النصر على جيش الجلندي دون أن يتعرض رجاله لخسائر كبيرة كالتي تعرض لها من قبل. وقد جاءه الحل عندما أشار عليه أحد رجاله بأن الخروج من هذا المأزق لا يتم إلا بخدعة فيها الكثير من مظاهر الغدر، وهو أن تفاجئ فرقة من جيش خازم بيوت العُمانيين – المصنوعة من الخشب – حيث الأطفال والنساء والشيوخ، فتلقي عليها الرماح المشتعلة مما يؤدي إلى احتراقها «فلما

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.
(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.

فعل ذلك، واحترقت بيوتهم بالنيران، وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم، شد عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم، وقتل الجلندي فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف»[1].

ويمكن القول أن هذه المعركة كانت ضربة عنيفة لآمال الحركة الإباضية في عُمان بعد أن تمكنت من إعلان إمامة الظهور الأولى، وكان عليهم الخضوع لحكم الدولة العباسية والدخول في دور الكتمان حتى تتاح لهم الفرصة ليظهروا من جديد، وقد جاء تعليق المؤرخ الإباضي السالمي على هذه الهزيمة معبراً عن مدى الخسارة التي حاقت بالحركة الإباضية بعد قتل الجلندي وأتباعه فيقول: «ولكونهم استشهدوا جميعاً في وقعة واحدة، صارت الدولة من بعدهم إلى الجبابرة .. وبقيت عُمان بعده (الجلندي) في يد الجبابرة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس»[2]، ويفهم من رواية الطبري أن خازم بن خزيمة أقام في عُمان عدة أشهر ثم جاءته الأوامر في كتاب من الخليفة العباسي بالعودة إلى العراق[3] ولم يأت ذكر الشخص الذي أسندت إليه مهمة الولاية في عُمان بعد ذلك، ولكن يفهم من رواية السالمي السابقة أن الإمارة أسندت إلى العناصر المعارضة من بني الجلندي الذين أعلنوا ولاءهم للدولة العباسية وحكموا باسمها، «حتى فرج الله كرب المسلمين (الإباضية) ولم يتم هذا إلا في سنة سبع وسبعين ومائة[4] عندما أعلنت الإمامة الإباضية الثانية في عُمان.

(١) انظر: الدويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٦٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٧.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٥ – ٦٦، الأزكوي، كشف الغمة، ص ٤٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.
(٤) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٦.

Scanned by CamScanner